www.kassioun.org

1050

الاثنين 27 كانون الاول 2021

حزب الإرادة الشعبية

كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

قاسيون

أسبوعية - 24 صفحة ● الثمن «50» ل.س ● دمشق ص. ب «35033» ● تلفاكس «00963 11 3120598» ● بريد الكتروني: general@kassioun.org

الافتتاحية

كيف هو العالم، وسورية؟ على بوابة 2022

مع دخول العام الجديد، تكون قد مرت ثلاثون سنة على مأساة ولادة العالم أحادي القطبية.

وبعد هذه العقود، بما حملته من متغيرات كبرى، فإنّ من بين الملامح الأساسية التي تطفو على سطح العالم نهاية هذا العام، ما يلي:

أولاً: تواصل واشنطن خطها البياني النازل على كافة المستويات، وفي القلب منها الاقتصادي؛ من استمرار هجرة عمليات الإنتاج، إلى أزمة الدَّين العام وهشاشة أرقام النمو وتعمق التفاوت الاجتماعي وارتفاع حدة شتى أنواع التناقضات الثانوية، إلى بداية تآكل سيادة المنظومة الدولارية ضمن منظومات العلاقات الدولية.

ثانياً: انتهى شهر العسل الأوروبي، ليس بالطلاق الإنكليزي فحسب، بل وأيضاً بتعمق التناقضات، من جهة بين الدول الأكثر غنىً ودول الجنوب الأوروبي، ومن جهة ثانية بين الدول الأكثر غنىً نفسها على أساس الاستقطاب الدولي الجاري بين الصين وحلفائها وبين الأمريكان والإنكليز. وربما أهم من هذا وذاك، تعمق التناقضات الاجتماعية على مستوى كل دولة على حدة مع التراجع التراكمي لمستوى المعيشة...

ثالثاً: تواصل الصين تقديم نموذج فريد من النمو الهائل على كافة المستويات، والمبني في جوهره على سياسة «إحلال الواردات» وسياسة «إعادة توزيع الثروة من فوق إلى تحت»، واللتان أمنتا ارتفاعاً مطّرداً في مستوى معيشة القسم الأعظم من الشعب الصيني...

رابعاً: يرتفعُ باطّراد وبثبات وزن الدور الدولي لروسيا، وعلى ساحات عالميّة مختلفة. ويترافق ذلك مع ارتفاع مستوى استحقاقات التغيير العميق الداخلية، والمتعلقة بالدرجة الأولى بإعادة توزيع الثروة من فوق إلى تحت، وهي العتبة التي لن تتمكن روسيا دونها من حماية نفسها بداية، ومن ثم من الاستمرار بلعب دورها العالمي.

خامساً: تجري على المستويات الإقليمية عمليات تفكيك وتركيب ضخمة لشتى أنواع التحالفات التي سادت سابقاً؛ فيفقد الغرب عموماً قدرته على فرض خياراته على الدول الإقليمية، وتنفتح واسعاً بوابات الاستقلالية النسبية لتلك الدول في اتخاذ خيارات أكثر تناسباً مع مصالحها، وضمن علاقات خارجية أكثر تكافؤاً.

سادساً: الحركة الشعبية العالمية التي أدت فصلها الأول فحسب على مسرح التاريخ، وجرى التلاعب بها خلاله، تعلّمت الكثير ودفعت الكثير خلال العقد الماضي، وهي تتجهز للفصل القادم الذي نشهد الآن ترتيباً حثيثاً لمنصّته، ولن تلبث كثيراً قبل أن نرى الإضاءة وإزاحة الستار.

على مستوى الأنظمة العربية المنتمية بأسرها إلى العالم القديم، وخاصة المطبّعة منها، نرى اتجاهاً معاكساً لحركة التاريخ، يتمثل بانغماس إضافي في مستنقع استيراد الأزمات الغربية وتوطينها أملاً في الحفاظ على الكراسي ولكن باتجاه واحد هو تعميق «الفوضى» الهدامة في منطقتنا.

على المستوى السوري:

- يرتفع مستوى التأرجح مع ازدياد الميل للغرب، وللمطبّعين، على أساس يومي. ويرتفع بالتوازي العمل «غير الرسمي» للطعن بحلفاء «الأمس».
- نرى احتفاءً بمشاريع من نمط خطّ الغاز «العربي»، بالتوازي مع توظيف فكرة «العروبة» في اتجاه معاكس تماماً لجوهرها الذي ساد منذ الخمسينات كأداة أساسية في محاربة الاستعمار الغربي.
- مع الحفاظ على المستوى المتدني للحريات السياسية، نرى تخلياً تدريجياً سريعاً يتجه نحو استكمال إلغاء أي دور اجتماعي للدولة، وفي تماشٍ كامل مع أسوأ وصفات النيوليبرالية ووصفات صندوق النقد والبنك الدوليين. نرى تضخماً لسوق المافيات والتجارات السوداء، وتلاشياً لعمليات الإنتاج الحقيقي، ومأساة إنسانية متكاملة الأوصاف، يوازيها «طناش» من الذين «فوق»، ويعيشون وكأنما في فقاعة معزولة.

بالنظر إلى اتجاهات التطور بين الوضع الدولي والإقليمي من جهة، وبين المحلي السوري من جهة أخرى، فإنّ أوضح الاستنتاجات هو أنّ الوضع الداخلي يسير بعكس اتجاه التطور التاريخي، وهذا السير لم يبدأ بالأمس أو قبل سنة، بل مما قبل 2011، ومن 2005 على الأقل. وفرق الكمون بين الوضعين بات كبيراً جداً، ما يستدعي ويتطلب تغييرات جذرية لصالح أكثرية الشعب الساحقة وضد الحرامية من كل شاكلة ولون.

أكثر من مليونين وسطي تكاليف المعيشة بداية 2022 [12]

شؤون عمالية

المجلس العام للنقابات

03

شؤون محلية

مُتعبون حد الإنهاك!

05

ملف «سورية 2021»

بانوراما مركز دراسات قاسيون

06

شؤون عربية ودولية

ايران وقص الأجنحة

18

بصراحة

■ محمد عادل اللحام

ما طرح في مجلس النقابات مختلف عن السابق

الأجور أكثر القضايا التي يجري تداولها في مواقع العمل، وبين جميع العاملين بأجر، كون الأجور بالنسبة لهؤلاء قضية حياتية مرتبطة إلى أبعد حد بمعيشة العمال، وتأمين حاجاتهم الضرورية، التي من الممكن أن يستطيعوا بها تجديد قوة عملهم المنهكة، والمسبب لها قلة الحيلة بين أيديهم حتى لو عملوا عملاً آخر إن تمكنوا من ذلك.

في اجتماع مجلس النقابات الأخير ما طرح حول الزيادة الأخيرة للأجور ليس كما سبق، أي لم يتم التهليل والتبجيل لهذه الزيادة بل لم يرضَ عنها الحاضرون من أعضاء المجلس وكانت بمثابة الترضية للطبقة العاملة في قطاع الدولة لأن عمال القطاع الخاص ستكون قصتهم طويلة مع أرباب العمل حتى ينالوا زيادة على أجورهم وهذه الزيادة حتى ينالوها تحتاج إلى عمل جاد يقوم به العمال والعمل الجاد بات معروفاً عند العمال وهو الضغط والمطالبة والاحتياج في المكان وبعدها الإضراب في المكان وهذا يحدث ولكن لا علم للنقابات به وإن علمت فلا حول لها ولا قوة.

بالعودة إلى اجتماع المجلس وما طرح به كان الصوت عالياً قليلاً عما هو معتاد فأحدهم قال أعطيتمونا الزيادة ورفعتم أسعار الدواء بمقدار الزيادة هل هي رسالة من الحكومة لنا بأن نصرفها على صحتنا! الحكومة تعلم أن صحتنا تتدهور كلما ارتفعت الأسعار.

ما كان سائداً في اجتماع المجلس هو عدم الثقة بما تصدره الحكومة من قرارات وبأنها بالضد من مصلحة العمال وهي لصالح قوى الفساد والنهب لأن هذه القوى لا تصاب بأذى من قرارات الحكومة بل يزدادون شراسة في نهب لقمتنا بوجود تلك القرارات وغيرها من الإجراءات.

إن الزيادة الأخيرة على الأجور كانت صادمة لكل أصحاب الأجور ولم يعد بمقدورهم إيجاد ذلك التوازن المطلوب بين ما يحصلون عليه من أجور وبين ارتفاعات الأسعار الجنونية واختلالها الفاقع لصالح ارتفاع الأسعار خاصة وأن تلك الزيادة كما هو حال سابقاتها اعتمدت على الضرائب ورفع الأسعار وخاصة المشتقات النفطية والكهرباء، أي جرى تمويلها من جيوبنا ولقمة أطفالنا مع أن الحكومة بتصريحاتها الكثيرة تقول بأنها تدعم ولكن الحقيقة تقول أن الدعم «باي باي». إنّ قضية الأجور قضية سياسية بالدرجة الأولى قبل أن تكون قضية موارد، حيث تعني: الموقف من الناهبين والمنهوبين، فبقاء الأجور على ما هي دون زيادة حقيقية من جيوب الناهبين، حيث الموارد التي تُمكّن من زيادة حقيقية، يعني انحيازاً واضحاً للناهبين على حساب المنهوبين، وهذا الواقع يدركه العمال تماماً بحسهم الطبقي، وبعملهم الفعلي خلف الآلات، ويعرفون أن طريق حصولهم على حقوقهم ليس بالتصريحات والخطب، ولكن له مسار آخر سيذهبون إليه في اللحظة التي تكون مواتية لذهابهم.

أيهما أفضل للعمال المفاوضات الجماعية أم الإضراب

يتضمن الحوار الاجتماعي كما عرفته منظمة العمل الدولية كل أشكال تبادل المعلومات والاستشارات والمفاوضات بين ممثلي الحكومة ومنظمات أصحاب العمل ونقابات العمال على قضايا ذات مصلحة مشتركة متعلقة بالسياسات الاقتصادية والاجتماعية. ويعتبر التفاوض بين طرفي العلاقة الإنتاجية أعلى أشكال الحوار الاجتماعي.

ظهرت فكرة المفاوضات الجماعية بين أطراف العمل الثلاث «العمال، أصحاب العمل، الحكومة» مع الاقتصاد الحر والليبرالية حيث يروج لها على أنها وسيلة سلمية وحضارية تتميز بالحوار الديمقراطي بين أطراف العمل وتحقق السلام الاجتماعي والاستقرار، يترتب عليها أن تؤدي إلى تنمية العلاقات الاجتماعية بين طرفي العلاقة الإنتاجية فتتسم هذه العلاقة بالإنسانية، معتبرين أنها تطوير لأساليب النقابات العمالية التي يتهمونها بالعنف كالإضراب والاعتصامات زاعمين أن زمن هذه الأساليب قد ولّى إلى غير رجعة.

كل هذه الأحلام و الوعود التي يسوقها الليبراليون ويدافعون عنها أثبت الواقع العملي فشلها وأن كلامهم المعسول عن السلام الاجتماعي والحوار والإنسانية ما هو إلّا ذر للرماد في العيون لتضليل العمال وإبعادهم عن سلاحهم الحقيقي الإضراب.

أنصار المفاوضات الاجتماعية يعتبرون الإضراب عملاً عنفياً ويخل بالسلم الاجتماعي بينما هو عمل احتجاجي سلمي لرفض الواقع القائم ودليل على وعي الطبقة العاملة لمصالحها وحقوقها وهو السلاح الأمثل للعمال في ظل الأنظمة الرأسمالية لمواجهة شراسة أصحاب العمل. وقد اعترفت منظمة العمل الدولية أن من أبرز معوقات تطبيق نظام المفاوضات الجماعية هي عدم احترام المبادئ والحقوق الأساسية في العمل التي أدت إلى ازدياد معدلات الفقر والبطالة مع غياب الحريات السياسية والعامة وعدم استقلالية المؤسسات النقابية.

لماذا لا يمكن الجمع بين نظام المفاوضات الجماعية وحق الإضراب معاً؟

فاذا اعتبرنا أن الاكتفاء بالمفاوضات الجماعية فقط حلاً وحيداً فليس هناك أحد ضد الحوار ولكن هل يمكن أن يكون هناك حوار جديّ من دون وجود مؤيدات أو ضمانات لتنفيذ ما يتفق عليه، فمن غير المعقول اعتبار طرفين مفاوضين أحدهما طرف ضعيف لا حول له ولا قوة ولا وزن وليس بيده أية أداة للضغط بينما الطرف الآخر يملك كل مقومات القوة- أنداداً في حوار جدي متكافئ وخصوصاً في الأنظمة الرأسمالية حيث ميزان القوى الاقتصادي والسياسي في صالح أصحاب العمل، ففي هذه الحالة يتحول الحوار إلى مجرد مفاوضات استسلام ونتائجها بمثابة شروط إذعان تفرض على العمال من قبل أصحاب العمل دون أن يكون بيدهم أية وسيلة لرفضها أو الاعتراض عليها...

ويحمل أصحاب نظرية المفاوضات الجماعية فشلها إلى العامل الذاتي للمفاوضين لا إلى العامل الموضوعي معتبرين أن عدم الإيمان العاطفي بالمفاوضات وبنجاحها وعدم بذل جهد كبير لإنجاحها وعدم تقبل الآخر... وليس إلى ميزان القوى وتضارب المصالح والصراع الطبقي بين من يملكون كل شيء ومن لا يملكون أي شيء..

وبينت تطبيقات نظام المفاوضات الجماعية أنها لم تؤدّ إلى تحديث شروط العمل وتحسين ظروفه ولم تحقق العدالة الاجتماعية ولم تمنع حدوث الأزمات الاقتصادية كما وعدنا منظروها بل على العكس تماماً فقد زاد اضطهاد العمال وازدادت شروط العمل وظروفه سوءاً وازداد هجوم أصحاب العمل على حقوق الطبقة العاملة ومكتسباتها التي حققتها خلال عشرات السنين وتمركزت الثروة بيد قلة قليلة على حساب الملايين، ولم تؤدّ إلى علاقات إنسانية بين طرفي الإنتاج «العمال، وأصحاب العمل» بل ازدادت الفوارق الطبقية وارتفعت معها معدلات الاحتقان الشعبي التي أدت إلى انفجارات عدة كما يحصل في منطقتنا اليوم.

لم تمنع المفاوضات الجماعية من حدوث توقف في الإنتاج وعدم الوقوع في أزمات لأن الأزمات الاقتصادية أساساً هي نتيجة للأزمة البنيوية داخل النظام الرأسمالي نفسه وليست مطالبة العمال بحقوقهم السبب... فالغرب عموماً يتبنى نظام المفاوضات الجماعية وهو اليوم يعاني من أزمات اقتصادية حادة وتوقف وإفلاس العديد من قطاعاتهم الإنتاجية.

تتضح اليوم حقيقة أن نظام المفاوضات الجماعية هي عبارة عن أسلوب من أساليب سلطة رأس المال لتجريد العمال من سلاحهم الوحيد «الإضراب» وجرّهم إلى مناكفات إعلامية لا تجني ولا تثمر «كما هي الحال في البرلمانات الرأسمالية» بحجة أن الإضراب يوقف الإنتاج ويضر بمصلحة البلاد الاقتصادية، بينما في الواقع أن الاستغلال الذي يمارسه أصحاب العمل تجاه العمال وسعيهم وراء الربح هو الذي سبب الأزمات الاقتصادية وليس ممارسة العمال لحقهم الطبيعي في رفع الظلم عن أنفسهم.

لم تمنع المفاوضات الجماعية من حدوث توقف في الإنتاج وعدم الوقوع في أزمات لأن الأزمات الاقتصادية أساساً هي نتيجة للأزمة البنيوية

المجلس العام للنقابات

عقد الاتحاد العام لنقابات العمال مجلسه العام الأخير لهذا العام من دورته السابعة والعشرين على مداري يومي 20 و21 من الشهر الجاري في مقره العام في دمشق.

■ مراسل قاسيون

واستعرض فيه أعضاء المجلس العام العديد من قضايا الطبقة العاملة وتحدثوا عن واقع منشآتهم المختلفة التي تعاني الكثير من المشكلات المختلفة، كما تعرض أعضاء المجلس العام إلى قضايا الشأن العام للمواطنين وعرضوا هموم وشجون قضاياهم المختلفة وما يعانيه المواطنون من أزمات نقل وموصلات سواء داخل المدن أو خارجها وكذلك أيضاً أزمة الكهرباء المتفاقمة والانقطاعات الطويلة التي تصل الى 18 ساعة في العديد من المناطق، واحتجوا على رفع أسعار الكهرباء التي وصلت إلى أكثر من مئة في المئة، هذا ولم تخلُ مداخلة من مدخلات أعضاء المجلس إلّا وتحدثت عن الأجور المتدنية والأسعار الفاحشة في الأسواق، وقالوا نحن بحاجة أيضاً إلى زيادة هذه الأجور نتيجة التأخير في إصدارها، حيث مازالت الفجوة كبيرة بين الدخل والإنفاق وخاطبوا نحن نريد أجوراً تلبي احتياجات المعيشة كي يعيش العاملون بأجر بكرامة. وتساءل أعضاء المجلس لماذا هذه الارتفاعات بالأسعار رغم ثبات سعر الصرف خلال الفترة السابقة، كما طالب المجلس تعديل قوانين العمل والقوانين المرتبطة بها بما يتناسب مع مصالح الطبقة العاملة، واحتساب الراتب التقاعدي لعمال القطاع الخاص على أساس السنتين الأخيرتين أسوة بقطاع الدولة، وتكليف وزارة العمل بذلك لأنها الأدرى بشؤون العمل والعمّال عوضوا عن وزارة التنمية الإدارية التي تعمل ببطء شديد، وطالبوا الحكومة بضبط أسعار الأدوية المتزايدة باستمرار، إلى عدم توفرها إلا بالسوق السوداء إذ إن شركات الأدوية لا تعطي فواتير بأسعار الدواء للصيدليات، وقال أعضاء المجلس إن الزيادة الأخيرة للأجور قد ابتلعتها زيادة أسعار الدواء التي أقرتها الحكومة مؤخراً.

هذا وقد كانت بعض المداخلات قد تطرقت إلى نقص اليد العاملة في القطاعات الإنتاجية المختلفة وبعض القطاعات الخدمية لدى قطاع الدولة فعلى سبيل المثال في محافظة اللاذقية بحاجة إلى 1500 عامل نظافة ولا يوجد سوى أقل من 500 عامل حيث تتراكم القمامة في العديد من المناطق لأيام طويلة مما يؤثر على سلامة البيئة العامة هذا إضافة إلى عدم تجديد الآليات التي أصبحت قديمة ولا تلبي احتياجات المحافظة، وطالبت بتطوير خطوط الإنتاج المختلفة فيها وطالبوا الحكومة بتشغيل خط الفلوت في معمل الزجاج المتوقف منذ سنوات عديدة. كذلك أيضاً تمت مطالبة الحكومة بتثبيت كافة العمال المؤقتين أينما وجدو وكذلك العاملين بعقود سنوية، حيث جلهم من عمال الإنتاج، كما طالبوا الحكومة بترفيع العمال الذين وصلوا إلى سقف الراتب حيث إن عددهم لا يشكل ذلك العبء على الحكومة، إضافة إلى إعفاء كامل الأجر من ضريبة الدخل. نوهت العديد من المدخلات عن الأضرار الكبيرة التي يعاني منها العمال والمواطنين عامة من رفع سعر المحروقات الذي انعكس سلباً على حياة المواطنين وخاصة النقل وطالبوا بتأمين وسائط نقل جماعية لكافة العاملين. وكما العادة في كل المؤتمرات النقابية المختلفة ومجالس الاتحاد العام السابقة مازالت الوجبة الغذائية الداعمة من المطالب التي لم تحل إلى الآن وطالبوا بتقديمها بشكل عيني. وأيضاً تحدث أعضاء المجلس عن ضعف الأمن الصناعي في منشآتهم وطالبو بتفعيل الصحة والسلامة المهنية وطالبوا بإجراء الفحوص الدورية للعمال، كما طالبوا بتشميل عمال المخابز وعمال المطاحن، وعمال المباقر، وعمال الرخام، بجدول الأعمال الخطرة والشاقة، لما يتعرضون له من مخاطر مختلفة أثناء العمل من غبار ومواد مسرطنة وغيرها، وتأمين وسائل الوقاية والحماية الفردية والجماعية للعمال.

ونوّه إلى إن العديد من العاملين في القطاع الصحي من ممرضين وغيرهم الذين على تماس مع المرضى لم يحصلوا على مكافأة كورنا. وفي مداخلة مدير مركز الدراسات والأبحاث العمّالية تساءل كيف يمكن للحكومة وضع ما بين 14 إلى 17% من موازنتها في الاستثماري وباقي الموازنة للاستثمار الجاري وما هو المبرر بعدم الموازنة بين الاستثماري والجاري في الموازنة العامة للدولة، لا يمكن تحقيق نمو اقتصادي أو إيجاد حل لأي من المشكلات التي عرضت وغيرها في ظل هكذا توزيع للموازنة، وأيضاً إن حصة العمل إلى الناتج المحلي لا تتجاوز 20% بينما هي عالمياً 70% وهذا يعني ترحيل كل المشاكل إلى مراحل قادمة دون حل لأي مشكلة منها.

إن العديد من العاملين في القطاع الصحي من ممرضين وغيرهم الذين على تماس مع المرضى لم يحصلوا على مكافأة كورنا

الطبقة العاملة

تونس عمّال مصنع الحَلفاء والورق يطالبون بإلغاء الخصخصة

نفّذ العاملون في الشركة الوطنية لعجين الحلفاء والورق بالقصرين، يوم الاثنين الماضي، وقفة احتجاجيه أمام مقر الشركة، احتجاجاً على تردي الوضع المالي والاجتماعي للشركة، وللمطالبة بإنقاذها من الإفلاس والمحافظة عليها وإلغاء خصخصتها، وفي هذا الإطار أوضحت نقابة العمال في الشركة الوطنية لعجين الورق بالقصرين، أن المصنع بالقصرين متوقّف عن العمل والإنتاج منذ 3 سنوات واعتبرت النقابة عدم إيفاء سلطة الإشراف بتعهداتها وتوفير الاعتمادات الضرورية للقيام بجملة من الإصلاحات الكفيلة بعودة الإنتاج بالمصنع وتأمين مستلزماته، وهناك سياسة ممنهجة تهدف إلى إغلاق هذه المؤسسة العمومية وخصخصتها مثلما تم مع مصنع الآجر، وأضافت إن توجّه الدولة نحو خصخصة المؤسسات العمومية هي إملاءات خارجية من قبل صندوق النقد الدولي.

تطاوين: إضراب بـ 3 أيام في حقل «سيتاب» في البرمة

دعا اتحاد العمال للشغل بتطاوين كافة العمال في شركة بتروكونفور للمناولة في الإعاشة والتموين التي كانت تعمل في حقل «سيتاب» في البرمة وخلفتها شركة «بتروسورف»، إلى تنفيذ إضراب عامّ عن العمل لمدة ثلاثة أيام بداية من يوم 30 كانون الأول الجاري وإلى غاية منتصف كانون الثاني القادم، وأوضح اتحاد العمال بتطاوين أن الدعوة إلى الإضراب تأتي بسبب تعطل عملية التسلم والتسليم بين الشركتين وحرمان عمال شركة «بتروكونفور» من مستحقاتهم المادية، ودعا الاتحاد شركة بتروسورف إلى الالتزام بتعهّداتها السابقة اعتماداً على الفصل 15 من نظام العمل ودعاها إلى تحمّل مسؤوليتها إزاء العمّال، مجدّداً دفاعه عن مكتسباتهم المادية والمعيشية.

الولايات المتحدة إضراب عمال التنظيفات في مقاطعة سان دييغو

منذ يوم الجمعة الماضي يتظاهر عمال من شركة خدمات القمامة وإعادة التدوير في جميع أنحاء منطقة سان دييغو في كاليفورنيا طوال أيام الأسبوع. من أجل زيادة الأجور وتحسين الأوضاع المعيشية للعمال قالت النقابة التي تمثل أكثر من 250 عاملاً إنهم لا يستطيعون الاتفاق مع الشركة بالشروط التي تقدمها، حيث هناك فرق كبير بين ما يحتاجه العمال وما قدمه لنا صاحب العمل. وإننا نطالب بظروف عمل أفضل وأجور أفضل. وتتواصل عملية المفاوضات بين النقابة والشركة للتوصل إلى عقد عمل عادل. ومع استمرار الإضراب، توقفت أعمال خدمة القمامة، وأضافت النقابة إن إضراباً آخر قام به العمال مؤخراً في مقاطعة أورانج تم التوصل من خلاله إلى حل ونأمل أن يحدث الشيء نفسه هنا.

عمّال صالة مطار لوس أنجلوس الدولي يصوتون للإضراب

صوت العاملون الذين يعملون في الصالات الثلاث التابعة لشركة الطيران الأمريكية أمريكان إيرلاينز التابعة، يوم الاثنين الماضي بنسبة 98% لصالح الإضراب من أجل زيادة الأجور للعاملين، وقال مسؤولون نقابيون إن ما يقرب من 70% من العاملين في صالة مطار لوس أنجلوس الدولي إن رواتبهم لا تواكب التضخم الحاصل في البلاد ولا تلبي متطلبات المعيشة، وأضافت، معظم العمال لفترات طويلة لم يحصلوا على علاوة لأكثر من ثلاث سنوات، باستثناء الزيادات الدورية في الأجور التي يتطلّبها قانون الحد الأدنى للأجور في المطار، وقد تم التصويت للإضراب وقد يعلنون الإضراب العام في أي يوم.

تقديرات الحركة العمّالية الأمريكية 2022

عرف شهر تشرين الأول أمريكياً باسم «سترايكتوبر» بسبب تصاعد الحركة الإضرابية للعمّال من أجل زيادة الأجور وحياة أفضل. ولكن عرف تشرين الثاني أيضاً باسم «سترايكفمبر» للسبب ذاته. ففي أول أسبوع من تشرين الثاني حدث أكثر من 300 إضراب في مختلف أنحاء الولايات المتحدة.

■ محمد الفراتي

نقلت مجلة إنداستري ويك/ الأسبوع الصناعي عن أكبر اتحادين لنقابات العمالية الأمريكية، فيدرالية العمل الأمريكية ومؤتمر المنظمات الصناعية «يمثلان أكثر من 12 مليون عامل» أنّ موجة الحركة الإضرابية ستتواصل وتتصاعد خلال العام القادم 2022. ويعتبر انخفاض الأجور أكبر محرك لهذه الإضرابات، تليه المطالب الأخرى مثل منع الفصل التعسفي، وفرض شروط العمال أثناء توقيع عقود العمل، وحق التنظيم النقابي، الرعاية الصحية وتحسين شروط العمل. أما آثار الأزمة التي تزحف مثل الفطر في المجتمع الأمريكي، من ظروف الوباء وانكسار سلاسل التوريد والنقص في اليد العاملة، مضافاً إليها التراجع العام لحقوق غالبية الأمريكيين في الغذاء والتعليم والصحة والسكن والعمل والخدمات، تؤثر بمجموعها في الحركة الجنينية التي تنمو من الأسفل.

من أبرز خصائص هذه الحركة، كثرة التنظيمات النقابية وقدرتها على الحشد والتنظيم والإعلام، واتساع الحركة إلى مختلف القطاعات العمالية. ولكن مقتلها في التشظي الكبير الذي تعاني منه النقابات الرسمية والإصلاحية. فنقابة مثل نقابة عمال الاتصالات التي تدعو إلى السلطة العمالية عبر وسائل إعلامها وحملاتها الانتخابية لم تعِ بعد أنها لوحدها لن تستطيع تحقيق ذلك. وكذلك نقابة عمال أمازون التي تستطيع خوض الإضرابات في عشرين بلداً، ونقابة عمال الصلب والفولاذ التي تشمل عمال أمريكا وكندا وحركة الـ 15 دولاراً التي شملت عمال المطاعم والخدمات عام 2018 ونقابة عمال التعليم ونقابة سائقي الشاحنات، كل هؤلاء من المنظمات القوية، ولكن التشظي عن الحركة النقابية وشكل التنظيم العالمي لبعضها يمنعها من تحقيق شيء كبير حتى الآن رغم أهميتها.

من ناحية أخرى كانت الروابط العمالية ذات الطابع المحلي التي بدأت تظهر منذ احتجاجات 2020، ذات قدرة على تأثير محلي نسبي في العديد من الأمور. وإذا أضفنا إلى ذلك التصويتات العمالية الواسعة على تنظيم الإضرابات مثل تصويت هوليود وتصويت عمال الصحة الذي شارك فيهما أكثر من 100 ألف عامل، تجعل الأمريكيين يقفون أمام ظاهرة جديدة تنبع من الأسفل، وقد تكون الشكل الجنيني للمجالس العمالية التي تستغني عن النقابات الرسمية والإصلاحية وتتجاوزها، ذلك الشكل الذي تحدث عنه غرامشي خلال تحليله للحركة التورينية في إيطاليا قبل حوالي 100 عام.

وفوق كل هذه الأمور، تعاني هذه الحركة من ضعف كبير رغم القوة الكبيرة الظاهرة في الحركة العمالية الأمريكية منذ 3 أعوام: غياب حزب الطبقة العاملة. ويبدو أن الرأسماليين يعرفون أهمية ذلك جيداً، فرفعوا من شأن ما يمكن أن نسميه على سبيل التهكم: «حزب الرأسماليين الاشتراكيين». حيث تشهد أمريكا صعوداً للاشتراكيين الديمقراطيين وخطابهم الدونكيشوتي والمتناقض. أما الحزب الشيوعي الأمريكي فهو عبارة عن جماعة صغيرة تأثيرها ضئيل بفعل أمور عديدة. ومن ناحية أخرى تشهد المنظمات التابعة للأممية الرابعة التروتسكية نهوضاً واسعاً كما بدا من مؤتمرها الأخير، في لحظة كاريكاتورية نادرة لاستيقاظ هؤلاء في هذه اللحظة بالذات. بالإضافة إلى انتشار الحركات الفوضوية المسلحة، والتي بطريقة ما صارت تملك المصفحات!

نخرج بنتيجة من كل ذلك بأن الصفيح الأمريكي ما زال ساخناً ويزداد سخونة. وتتخوف وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى مما قد يحدث في عام 2022، فتحاول تمييعها عبر خلق أحزاب حمراء وهمية، وترمي بالنقابات المزيفة للعمال في محاولة كلاسيكية لوأد الحركة، ولكن الحركة تخلق أدواتها من الأسفل في التنظيم والإعلام وإن ما زالت في شكلها الجنيني، بل وتجبر في كثير من الأحيان تلك النقابات الإصلاحية على اتخاذ المواقف التي لم تتخذها في السابق.

باحث عن عمل ومنامة

خلال زيارتنا الأخيرة لمجمع الرضوان في منطقة الباردة بريف دمشق قابلنا عامل خياطة يبحث عن عمل ضمن معامل الخياطة الكائنة فيه، ورغم حصوله على غايته كونه يمتلك مهارة كبيرة بالعمل، إلا أن طلبه الإضافي الذي لم يوافقوا عليه جعله يستمر بالبحث عمّن يقبل به وهو أن يُسمح له بالبقاء والنوم ليلاً ضمن المعمل ومن المؤكد أن وراء ذلك سبباً ما أردنا الوصول إليه.

■ مراسل قاسيون - ريف دمشق

أخبرنا العامل هيثم بأن السبب بسيط جداً حيث أنه يقطن في منطقة قطنا وهي بلدة بعيدة عن المناطق الصناعية وأماكن تواجد المعامل الكبيرة وبأنه يمتلك خبرة كبيرة «صقلها خلال وجوده لعدة سنوات في تركيا» تجعله غير مناسب للورشات المنتشرة في مركز المدينة التي تصنع منتجات منخفضة الجودة والتكلفة وهذا ما يجعله غير قادر على الاستفادة والاستثمار بميزته الأساسية كمهني محترف، أضف إلى ذلك انخفاض الراتب فيها عن المعامل الكبيرة الباحثة عن اليد العاملة الخبيرة، مما جعله يبحث عن شركات ومعامل كبيرة والتي رغم أنها تؤمن للعمال المواصلات اللازمة إلا أن منطقته السكنية لا يوجد بها غيره مما يجعله خارج هذه الخدمة، وهذا سبب تركه لعمله الأخير فبالإضافة إلى أجور المواصلات المرتفعة التي تبتلع جزءاً كبيراً من أجره هناك عامل الوقت المهدور على الطرقات التي ترتفع إلى حدود الخمس ساعات يومياً خاصة في ظل أزمة الازدحام المستمرة والشديدة، لذلك قرر أن يبحث عن عمل مع منامة ويضرب عصفورين في حجر واحد الأول سيكون قادر على زيادة ساعات عمله بدل أن يقضيها في وسائل النقل على الطرقات مما يعني ارتفاع دخله الشهري والثاني بأنه سيوفر على نفسه أجور المواصلات المنهكة لأي شخص، وقد اكتشف فائدة المنامة في مكان العمل خلال فترة الإغلاق التي مرت أثناء إجراءات الكورونا ويبدو أنها وضحت له كمية الوقت الذي يخسره بلا جدوى وارتفاع تكاليف المواصلات، وأكد هيثم بأنه سيجد ضالته خلال الأيام القادمة خاصة بأن أحد معامل الخياطة التابعة لأحد الشركات الكبرى في صحنايا التي أجرى فيها مقابلة عمل متمسكة به وبخبرته وهو واثق بأنها ستعاود الاتصال به للعمل لديها ضمن أحد شرطيه إما العمل مع منامة أو تأمين مواصلات مجانية من وإلى مكان سكنه، ويضيف هيثم «انطروا وشي وحتشوفو كيف نص العمال حيصيروا مثلي بدهم شغل ومنامة لأنو 12 ساعة شغل ما بقا تكفي أبداً قد ما كان راتبك، والراتب ما بيحمل مصروف مواصلات صعبة وغالية».

ربما الحالة الخاصة لهذا العامل ليست بهذه الخصوصية، بل إنها آخذة بالاتساع كونها نتيجة موضوعية للواقع المعاش، وهذه الظاهرة توضح مدى تدهور الوضع العام للطبقة العاملة التي تخلت تدريجياً ومرغمة عن نمط حياتها الاجتماعية السابق، فالحاجة لزيادة ساعات العمل و استمرار تدهور قيمة الأجور وارتفاع نسبة البطالة والتهميش ستتلوها عشرات الظواهر المعبرة عن الواقع الحالي حتى يخرج للنور نموذج اقتصادي اجتماعي يبني اقتصاداً وطنياً قوياً وقادراً مرتكزاً على أوسع عدالة اجتماعية ينصف الطبقة العاملة والكادحين.

رئيس منصة موسكو يعلّق على تصريحات لافرنتييف حول «الدستورية»

نشر أمين حزب الإرادة الشعبية، القيادي في جبهة التغيير والتحرير، رئيس منصة موسكو للمعارضة السورية، قدري جميل، سلسلة تغريدات على حسابه الرسمي في تويتر مساء اليوم الثلاثاء 21 كانون الأول 2021، قال فيها:

«بعد الاطلاع على تصريح السيد لافرنتييف الأخير لوكالة تاس حول دور المعارضة السورية في اللجنة الدستورية، فإننا:

● وإنْ كنا في المنصة من المتضرِّرين من سلوك الطرف الحاكم في المعارضة «الائتلاف»، وخاصة منذ إبعاد ممثلنا عن اللجنة الدستورية بعد الجولة الأولى بسبب اقتراحنا نقل أعمال اللجنة إلى دمشق.

● وإذا كان واضحاً لنا تماماً الدور المعطِّل للجهة الحاكمة في هيئة التفاوض منذ اليوم الأول لتأسيسها، وخاصة في صياغة البيان الختامي لمؤتمر الرياض.

● وإنْ كنا نعي الدور المعيق لهذا الطرف للعملية السياسية بمواقفه المتشددة من النظام، والتي صبَّت المياه دائماً في طاحونة النظام نفسه خلال كل الفترة الماضية وحتى الجولة السادسة...

● وفي الوقت نفسه، نعي أهمية الموقف الروسي في إيقاف تمدُّد الإرهاب، وفي منع الغرب من الاستفراد ببلادنا كما فعل في العراق وليبيا، ونعي دوره في إقرار 2254 في مجلس الأمن وفي نشاطه اللاحق لتنفيذه.

إلا أنه للحق وللتاريخ، نشهد أنَّ الذي أفشل الجولة السادسة هو مواقف وسلوك وفد النظام، ولذلك نستغرب ونأسف لتصريحات السيد لافرينتييف المجافية للحقيقة والمحابية للنظام واللاموضوعية في عرضها لحقيقة الأمور».

وختم سلسلة تغريداته بالقول «ونعتقد أن صديقَك مَنْ صدَقَك وليس مَن صَدَّقك، وهو بهكذا مواقف يشجع الجهات المتشدِّدة في النظام ويضع الأساس والمبررات لإفشال الجولة السابعة التي أعلن السيد غير بيدرسون عزمه على عقدها قريباً، وبالتالي يتحمل مسؤولية أية نتائج سلبية لعمل اللجنة الدستورية في وقت ينتظر فيه الشعب السوري على أحرّ من الجمر أيَّ تقدم في عملها وفي الحل السياسي على العموم، لتخفيف وطأة المعاناة التي يعيشها».

هذا وكانت وكالة تاس الروسية للأنباء قد نقلت عن المبعوث الرئاسي الروسي إلى سورية ألكسندر لافرنتييف قوله اليوم بأن «المعارضة السورية تطرح غالباً مطالب غير مقبولة، مما يعيق تحقيق التوافق في عمل اللجنة الدستورية بجنيف»، مضيفاً بأنّه «غالباً ما تطرح المعارضة الشروط المسبقة وتطرح المطالب، ويتم ذلك بطريقة، استفزازية في بعض الأحيان، بحيث تجبر الجانب الموالي للحكومة على اتخاذ موقف متشدد إلى حد ما» وفق ما أدلى به بعد اجتماعات لصيغة أستانا للتسوية في سورية في جَولتها السابعة عشرة، التي انطلقت صباح اليوم في نور سلطان عاصمة كازخستان، والتي تستغرق يومين، بمشاركة وفود إيران وروسيا وتركيا، إضافة إلى وفود الحكومة السورية والمعارضة السورية المسلحة والأمم المتحدة.

مازوت التدفئة والصناعي...المواطن من تحت الدلف لتحت المزراب

أوجدت «حكومة حل الأزمات» حلاً خلبياً لمشكلة تأخر توزيع مازوت التدفئة، عبر تكثيف توزيعه خلال الفترة الحالية، ولكن على حساب إيقاف توزيع حصة المازوت الصناعي، مبينة أن نسبة التوزيع مرتبطة بالكميات المتوفرة، وذلك حسب تصريحات لشركة المحروقات.

■ نادين عيد

إن إيجاد حل لمشكلة التدفئة التي يعاني منها المواطن سيكون على حساب فتح باب لمشكلة تبعاتها تلحف ضرراً كارثياً أكبر على المستوى المعيشي للمواطن!

إن ما أقدمت عليه الحكومة لا يندرج تحت مسمى «الحلول الترقيعية»، فالمبدأ المتبع لحل المشكلة الحالية يبتعد أكثر من ذلك نحو الحلول التي ستتبعها نتائج أكثر كارثية!

بمعنى آخر، إن إيجاد حل لمشكلة التدفئة التي يعاني منها المواطن سيكون على حساب فتح باب لمشكلة تبعاتها تُلحق ضرراً كارثياً أكبر على المستوى المعيشي للمواطن نفسه!

إيقاف المازوت الصناعي ونتائجه الكارثية

إن إيقاف مخصصات القطاع الصناعي من المازوت بذريعة مازوت التدفئة يحمل في طياته أوجه عدة لما تخطط له الحكومة أولاً، ولنتائجه المنعكسة على الواقع المعيشي للمواطن والقطاع الصناعي ثانياً.

فالقرار بعمقه قد يمهد لإحدى الحالتين، إما لتخفيض دعم جديد للمخصصات الصناعية من المشتقات النفطية بذريعة مازوت التدفئة، أو يمهد لرفع سعري جديد، وكلتا الحالتين تندرج تحت بند «تخفيض الدعم الحكومي».

أما الطامة الكبرى، فهي أن تستخدم تلك الذريعة لتخفيض كمي وتحرير سعري للمشتقات النفطية بذرائع عدة، كالعقوبات وتأخر وصول التوريدات وارتفاع تكاليف الشحن والنقل...إلخ.

فالمسوغات كثيرة وباتت كرة المبررات في ملعب القرارات الحكومية كما جرت العادة، لتدرج الحلول الترقيعية على قائمة التنفيذ بذريعة ما يسهل اختلاقه وتنفيذه، لتسبب حالة من التخبط والضغط على مستوى القطاع المقصود والقائمين عليه ليقبلوا فيما بعد بما هو أقل ضرراً ربما!

على حساب المواطن والصغار خارج المعادلة

أصحاب المنشآت الصناعية سيلجؤون اليوم اضطراراً إلى شبكات السوق السوداء لتغطية حاجتهم من المازوت الصناعي، بواقع أسعار تتراوح بين 3000 حتى الـ 4000 ل.س، مع الإشارة أن مخصصات المازوت المدعوم لا تسد الحاجة الفعلية للإنتاج، لكن إيقاف توزيعها حتى إشعار آخر سيشكل عبئاً إضافياً، وسيضاف إلى تكاليف الإنتاج المرتفعة أصلاً، كما سيشكل ورقة ضغط سيستخدمها الصناعي، لرفع سعري جديد للمنتجات التي ستطرح في الأسواق، ثم ليتحمل تكلفتها الزائدة بالمحصلة جيب المواطن المستهلك.

يعني أن تكثيف توزيع 50 لتر مدعوم لكل أسرة على حساب القطاع الصناعي، سيخلق مشكلة تنعكس على حالة المواطن يلخصها المثل التالي: «من تحت الدلف لتحت المزراب»، بمعنى أن المواطن الذي سيحصل على 50 لتر من المازوت المدعوم بسعر 500 ل.س، سيدفع فوقها أضعافاً مضاعفة بسبب الغلاء الذي سيلحق أسعار منتجات القطاع الصناعي!

أما صغار الصناعيين فمن المؤكد أن الحلول الحكومية الإعدامية ستوجه صفعة قاسية لهم، وقد تؤدي إلى إغلاق المزيد من المنشآت الصناعية الصغيرة، مع ما يعنيه ذلك من طرد للعمالة لديها، أي نحو المزيد من التراجع على مستوى القطاع الصناعي عموماً، والمستوى المعيشي للمفقرين أيضاً.

ويبقى السؤال المطروح، مع كل ذلك التخفيض الكمي الذي لحق بمازوت التدفئة، والذي وصل إلى 50 لتر!

ما زالت الحكومة تواجه مشكلة تجعلها توقف توزيع المازوت الصناعي فترة من الزمن، لتكثيف توزيع مازوت التدفئة! فكيف سيكون الحال لو بقيت الكميات كما كانت عليه، سواء 100 لتر أو 200، فهل كانت ستوقف توزيع مازوت قطاعي النقل والزراعة مثلاً إلى حين الانتهاء من توزيع مازوت التدفئة؟! ربما ولم لا؟!

بانوراما لملفات مركز

أطلقت قاسيون في 2021، مركز دراسات قاسيون، والذي درس بعض الملفات الرئيسية على الساحة السورية معتمداً مقاربة بحثية تستند إلى الإحصاءات والأرقام والوثائق من مصادر متعددة، حكومية وغير حكومية، محلية ودولية، حديثة وتاريخية. ومنذ إطلاق المركز في منتصف شهر أيلول الماضي، عمل المركز على عدة ملفات أساسية نستعرض فيما يلي- ومع نهاية العام 2021- أقساماً من الاستنتاجات والأفكار الأساسية التي خلص إليها المركز من دراساته المنشورة خلال الأشهر الماضية...

خط الغاز «العربي»

شغل هذا الملف المساحة الأكبر من عمل المركز منذ بدايته، حيث كان هناك في شهري أيلول وتشرين الأول الماضيين الكثير من الكلام حول ما يسمى بخط الغاز «العربي» وتداعياته على المنطقة بشكل عام، وسورية بشكل خاص. وعمل المركز على ربط هذا الملف بالتطورات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية الحالية والتموضع الأمريكي دولياً وإقليمياً، بالإضافة إلى السياقات التاريخية ذات الصلة لتسليط الضوء على ما تحاول أن تقوم به الولايات المتحدة في تعاطيها مع المنطقة ضمن عملية الانسحاب منها، والتراجع الذي تشهده في إطار التحول الجاري في موازين القوى الدولية من الأحادية القطبية التي هيمنت فيها الولايات المتحدة على المسرح الدولي إلى المرحلة القادمة.

توقيت طرح مشروع خط الغاز «العربي»

نشر المركز في 12 أيلول 2021 دراسة بعنوان «إخراج الأرانب من القبعة السحرية.. خط الغاز «العربي» كمؤشر على طبيعة المرحلة» والتي ركزت على تحديد هوية المشروع على المستوى الدولي والإقليمي والمحلي، وربطها بطبيعة المرحلة والتي في السياق السوري يمكن تلخيصها بأنها «صراع على طبيعة التموضع الاقتصادي والسياسي والجيوسياسي لسورية ضمن المشاريع العالمية والإقليمية الكبرى. وهذا الأمر نفسه يعني صراعاً ضمنياً على الحل السياسي القادم؛ بين معسكر يريد القفز فوق الحل السياسي، وتحويله إلى نافلة عبر تثبيت الأمر الواقع، أو عبر إجراء تغييرات شكلية.. وبين معسكر يريد تنفيذ الحل السياسي والذهاب بسورية شرقاً نحو اقتصاد منتج، ونحو علاقات متكافئة اقتصادياً، وبالتأكيد نحو دور وظيفي معاد للصهيونية وللمشاريع الغربية».

صراع على طبيعة التموضع الاقتصادي والسياسي والجيوسياسي لسورية ضمن المشاريع العالمية والإقليمية الكبرى ما يعني صراعاً ضمنياً على الحل السياسي القادم

هذا الاستنتاج قائم على أساس هوية المشروع الدولية والتي يمكن القول بأنها: «هوية غربية بالصميم.. وهذا يعني ضمناً أنه بالضد من مشروع «الحزام والطريق» ومن المشروع «الأوراسي»، وأنه معاكس تماماً للتوجه شرقاً» وهو ضمن عملية «خروج الاستعمار العسكري المباشر من الباب، ودخوله من الشباك الاقتصادي».

على المستوى الإقليمي، فإن الهوية الرئيسية للمشروع تُستقى من أصحاب مبادرته من مطبعين، وترتبط بشكل أساسي بالأصابع الصهيونية التي تشارك أو تستفيد من المشروع.

أما على المستوى المحلي، أي السوري، فإن هوية المشروع تنطلق من «أنّ المشروع يصب بالضد من خانة ثلاثي أستانا كاملاً «روسيا، تركيا، إيران»» ومن الأهداف الغربية في سورية المتمثلة بـ «استمرار الفوضى من جهة، وملء فراغ الانسحاب الأمريكي القادم عبر التطبيع».

الدور الأردني في المشروع

نظراً إلى الأهمية الإعلامية لدور الأردن في المشروع، وأيضاً تاريخياً فيما يتعلق بالعلاقة مع الكيان «وهذا كان ملفاً آخر تناوله المركز ونلخصه هنا لاحقاً» كان ضرورياً البحث في الجزء الذي يعبر الأردن ضمن مشروع خط الغاز «العربي» في دراسة نشرها المركز في 26 أيلول 2021 بعنوان «خط الغاز «العربي»: كيف تنتج الأردن كهرباءها؟» قامت هذه الدراسة بتقديم لمحة تاريخية حول العلاقات الطاقية بين الأردن والكيان الصهيوني، والتي بدأت «قبل إعلان الكيان الصهيوني بسنوات طويلة» وصولاً إلى توقيع الأردن «عام 2016 على اتفاقية استيراد غاز طبيعي من الكيان، حيث «أنّ عملية ضخ الغاز قد بدأت العام الماضي» و«الجهة التي وقعت الاتفاق من الطرف الأردني هي شركة الكهرباء الأردنية، وهي الشركة نفسها التي من المفترض أن تزود لبنان– عبر الشبكة السورية» بالكهرباء.

وربما ما هو أهم في هذه الدراسة هي الأرقام الخاصة بالأردن والتي تطرح السؤال وجوابه عملياً، عمّا إذا كانت الأردن تقدم «نفسها بها كبلد يسعى إلى التحول إلى مُصدر إقليمي للكهرباء تقوم في أساسها على إنتاج الكهرباء عبر الغاز القادم من الكيان؟»

خط الغاز «العربي» اتفاق عربي شكلياً

تم تقديم المشروع وحتى تسميته بأسلوب يوحي بأنه مشروع عربي على أساس «اتفاق بين مجموعة حكومات عربية، هي: مصر، الأردن، سورية، ولبنان، ومع احتمال لتشميل العراق من باب الكهرباء»، إلا أن الأمر في حقيقته أعقد من ذلك، وهذا ما نظرت فيه دراسة نشرها المركز في تاريخ 10 تشرين الأول 2021 بعنوان «خط الغاز «العربي»: الحكومات مجرد واجهات».

قمنا في هذه الدراسة بالنظر إلى الدور الفعلي في المشروع للحكومات العربية، وبالتحديد الأردن ومصر، وكان ذلك من خلال النظر إلى ذلك الدور بالتناسب مع الشركات الخاصة المحلية والأجنبية العاملة في مجالي الغاز والطاقة في البلدين.

فيما يتعلق بمصر، وجدنا «أنّ مصر تشتري ربع استهلاكها الداخلي من الغاز من «شركاء أجانب» عاملين على أراضيها و«أنّ حاجة مصر من الغاز التي تشتريها من «الشركاء الأجانب» سنوياً لأغراض الاستهلاك الداخلي هي وسطياً 8 أضعاف حاجة لبنان» وهو البلد الذي من المفترض أن تصدر له مصر الغاز مع أنها فعلياً تحتاج لشراء الغاز «بما فيه غازها» لسد احتياجاتها الداخلية. بكلام آخر، إن مصر فعلياً تشتري الغاز لتصديره

دراسات قاسيون في 2021

إلى لبنان، لذلك فهي تلعب دور الواجهة، وبالتحديد «للشركاء الأجانب» وفقاً لتسمية وزير النفط المصري السابق.

أما فيما يتعلق بالأردن، فإن البحث أظهر أن 20% من الدَّين العام الأردني «هو دَين على «شركة الكهرباء الوطنية» الأردنية التي تمتاز بخاصتين فريدتين: 1- هي شركة الكهرباء الحكومية الوحيدة في الأردن، وهي في الوقت نفسه شركة الكهرباء الوحيدة الخاسرة، في حين إنّ كل شركات الكهرباء الخاصة العاملة في الأردن هي شركات رابحة. 2- لا تعمل هذه الشركة في توليد الكهرباء، وإنما وظيفتها هي النقل والتحكم الكهربائي وشراء الكهرباء المنتجة من الشركات الخاصة وإعادة بيعها للمستهلكين... أي أنّ هنالك في الأردن نمطاً فريداً وعجيباً من خصخصة الكهرباء؛ حيث يجري توزيع الأرباح والخسائر بشكل ثابت: الشركات الخاصة تأخذ الأرباح، والشركة الحكومية تأخذ الخسائر». ولذلك «فإنّ من يستعد للتحول إلى مُصدِّر للكهرباء هو قطعاً ليس الأردن كبلد، وليس الأردن كحكومة، ولكن مجموعة شركات خاصة يصعب تعقب من هم مالكوها الفعليون».

دور البنك الدولي سابقاً والآن

نشر المركز في 22 تشرين الثاني 2021 تقريراً بعنوان «البنك الدولي بين خط الغاز «العربي» والسد العالي!» والذي نظر فيه بشكل مختصر في نشأة البنك الدولي ودوره التاريخي في المنطقة، وصولاً إلى استنتاجات في إطار الوضع الحالي من خلال عدسة المقاربة التاريخية.

«عام 1944 كانت الحرب العالمية الثانية قد باتت في نهاياتها المحتومة والواضحة، وهو العام الذي بدأ فيه التفاوض بين المنتصرين- سواء السياسي أو الاقتصادي- على شكل عالم ما بعد الحرب» وكان مؤتمر بريتين وودز الوجه الاقتصادي لمفاوضات المنتصرين «وهو المؤتمر الذي نشأ فيه الثالوث الذي بات الأساس الذي استندت إليه الولايات المتحدة بالدرجة الأولى ومعها بريطانيا بالدرجة الثانية، ومن ثم بقية المعسكر الغربي، للانتقال التدريجي من الاستعمار بشكله القديم أو العسكري المباشر، إلى الاستعمار بشكله الجديد؛ الاقتصادي».

وكان هذا الثالوث من أهم نتائج هذا المؤتمر، وعناصره: «1- اعتبار الدولار عملة احتياطية عالمية وعملة دفع عالمية إلى جانب الذهب 2- البنك الدولي ومقره واشنطن، ووظيفته الأولية المعلنة كانت إقراض الدول المدمرة لإعادة تعمير ما تدمر، وكذلك إقراض الدول «النامية» لإنشاء المشاريع الكبرى التي لا توفر على تمويل لها. 3- صندوق النقد الدولي ومقره واشنطن، ووظيفته المعلنة الحفاظ على توازن نقدي عالمي عبر التحكم بنظام المدفوعات، وتوازن أسعار صرف العملات».

إنّ الحوار الإستراتيجي بما يخص سورية تحديداً يظهر بوصفه عملاً أمريكياً ضمن إلهاء تكتيكي بحيث يجري الإيحاء بإمكانية الوصول إلى اتفاق كامل ولكن دون الوصول إليه

من المفيد هنا «التذكير بأرشيف الرئيس الأمريكي الرابع والثلاثين دوايت أيزنهاور والذي يتضمن مداولاته مع يوجين بلاك رئيس البنك الدولي في حينه حول السد العالي، والتي تتضمن توجيهات صريحة من أيزنهاور لبلاك بإدارة مفاوضات البنك مع عبد الناصر بحيث تتدرج في إطار تنفيذ الخطة ألفا، والتي تتلخص بجرّ مصر نحو «صلح» مع «إسرائيل»، عبر الإغراءات بتمويل السد، وببعض المساعدات، وباحتمال صفقة أسلحة انتهت الأمور بإعلان جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية في حينه، في تموز 1956، رفض الولايات المتحدة تمويل السد العالي عبر البنك الدولي. وهذا بحد ذاته كان مؤشراً مبكراً على من هو صاحب السلطة الحقيقية في قرار البنك الدولي».

«ما يسمى حالياً بخط الغاز «العربي»، هو بالنسبة لسورية واقتصادها ووضعها، مع الحجم الهزيل للمشروع ككل، ومع النسبة الهزلية التي من المفترض أن تحصل عليها سورية من تمرير الغاز «العربي» والكهرباء «العربية» على أراضيها، هو أقل شأناً بما لا يقاس مما كان لمشروع السد العالي من أهمية بالنسبة لمصر؛ ولكن هكذا هو التاريخ، إذا أعاد نفسه فإنه يعيد نفسه كمهزلة».

من خلال هذه المقاربة التاريخية يمكن استنتاج النقاط الثلاث التالية:

أولاً: الخطة ألفا النسخة الثانية ما تزال قائمة من حيث الغايات، حتى وإنْ شهدنا تغيراً بالأدوات، علينا أنْ نتابعه ونحرزه مبكراً.

ثانياً: علينا كسوريين الآن أن نبحث عن بدائلنا السياسية والدولية المنسجمة مع مصالح بلدنا وشعبنا، وهي بدائل واضحة وعلى رأسها الصين وروسيا.

ثالثاً: لكي تتمكن سورية من إنهاء ألفا النسخة الثانية فهي بحاجة لأن تكون موحدة، وأن يكون شعبها ممثلاً بأكمله تمثيلاً صحيحاً يستجيب لضرورات الواقع... وأمر كهذا لا مدخل له سوى الحل السياسي الشامل على أساس القرار 2254، والذي بات من الضرورة بمكان، وفي ظل النوايا والأفعال الغربية- «الإسرائيلية» الواضحة، أن ينتقل نحو التطبيق عبر قاطرة قادرة على دفعه إلى نهاياته... هذه القاطرة هي أيضاً اصطفاف سياسي واضح ضمن الصراع الدولي القائم، ودون أية التباسات انتهازية ومراوغات وتكتيكات وشطارات: أستانا + الصين».

العملية السياسية السورية و«تغيير سلوك النظام»

شهدت العملية السياسية السورية الكثير من التطورات والتغييرات على المستوى السوري كما على المستوى الدولي، وإن كانت كل تلك التغييرات ما تزال تحت السطح ولم تظهر نتائجها النهائية بعد بشكل ملموس. ويمكن تكثيف العامل الدولي في النظر إلى المسارات التي ظهرت بشكل واضح منذ بداية 2017 وعلاقتها ببعضها البعض والأدوار التي لعبتها مُذّاك، وبالتحديد: أستانا والمجموعة المصغرة. وتزامناً مع ذلك، شهدت السنوات الماضية وبشكل متزايد الانتقال إلى استخدام مصطلح «تغيير سلوك النظام» فيما يتعلق بمقاربة الغرب للملف السوري، والذي حل محل «تغيير النظام»، وكان ذلك قد ازداد بشكل ملحوظ خلال العام الماضي، ما جعله موضع اهتمام لفهم التغيير في سلوك الغرب، وبالأخص الولايات المتحدة فيما يتعلق بالتعاطي مع الملف السوري والعملية السياسية السورية.

المسارات والأقطاب

قام المركز بتحضير تقرير حول العلاقة بين الجهات الدولية ذات الصلة بالملف السوري ونشره في 4 تشرين الأول 2021 بعنوان «ثلاثة مسارات وقطبان: «الحوار الاستراتيجي».. «أستانا» و«تغيير السلوك»!» والذي انطلق من فكرة أن المجموعة المصغرة منذ أن نشأت «كانت بمثابة مقابل لأستانا، وظيفتها هي محاولة عرقلة أية خطوة يقوم بها هذا المسار؛ ابتداءً بالإعاقات المختلفة لفعاليات تخفيض التصعيد على الأرض، ومروراً بالعمل ضد مؤتمر سوتشي 2018 عبر المواقف المعلنة وعبر الضغط على أقسام من المعارضة، وعبر لا أوراق بومبيو وتيلرسون، ووصولاً إلى تعقيد عملية تشكيل اللجنة الدستورية، وليس انتهاءً بمواصلة العمل على تبييض و«سورَنة» النُصرة». وفي ظل فشل تحقيق فرط عقد أستانا، توجهت المجموعة المصغرة إلى استخدام أدوات أخرى لها تأثير سلبي على الملف في المحصلة، وعلى رأسها الاستنزاف الاقتصادي من خلال سبل، مثل: المقاطعة الدبلوماسية والعقوبات.

وكانت هذه المرحلة التي بدأت تقريباً منذ الجولة الأولى للجنة الدستورية في نهاية تشرين الأول 2019 قد شهدت التحول إلى الاستنزاف الاقتصادي كأداة أساسية تم ربطها مع الاستخدام المتزايد لمصطلح «تغيير سلوك النظام»، وكان أبرز العناوين في هذه المرحلة هو «قانون قيصر» والذي كان له –بالتضافر مع الفساد الكبير الداخلي– دور أساسي في وصول سرعة الانهيار الاقتصادي في سورية إلى 34 ضعف سرعة الانهيار الوسطية خلال الأعوام الثمانية الأولى من عمر الأزمة.

يبقى الاستنزاف الاقتصادي العنوان الأساسي في مقاربة الغرب للملف السوري، ولكن في حزيران الماضي وبعد لقاء بوتين وبايدن في جنيف، تم إطلاق «الحوار الاستراتيجي» بين البلدين، وكان الملف السوري أحد بنوده الأساسية. وفي هذا السياق لا بد من التذكير في هذا الإطار «أنّ إحدى غايات الأمريكان من الحوار مع الروس، وبالإضافة إلى إدارة ترتيبات إعادة التموضع، هي محاولة تأخير سرعة تطور التحالف الروسي الصيني وعلى النسق نفسه، فإنّ بين غايات الأمريكي عبر ترتيب وتقسيم الملفات أن يؤخر أو يعرقل أو يضعف ارتباطات روسيا مع شركائها الإقليميين، بما في ذلك إيران وتركيا» و«وجود الحوار لا يعني أن الصراع قد جرى تجميده مؤقتاً، بل إنّ ما تظهره الوقائع على امتداد الخارطة العالمية، هو أنّ الصراع ما يزال مستمراً، بل إنه يزداد شدة حول ملفات بعينها، بينها الملف السوري، وإنْ لم يكن ذلك واضحاً على السطح».

«مع بدء «الحوار الإستراتيجي»، بدا على السطح أنّ الأهمية النسبية لكل من «أستانا» و«المجموعة المصغرة» قد تراجعت؛ فوجود حوار مباشر بين القوتين الأكبر ضمن المجموعتين، يمكن له أن يوحي بأنّ هذا الحوار هو أيضاً حوارٌ بين هاتين المجموعتين. ولكنّ الوقائع على الأرض، وخاصة خلال الشهرين الماضيين، تشير باتجاه مختلف». ولكن فعلياً «من جهة، لم تتجاوز أستانا حتى الآن السقف الذي وقفت عنده نهاية 2019» و «من الجهة المقابلة، فإن «المجموعة المصغرة» تعمل بشكل نشيط جداً في المسألة السورية».

«ضمن هذه الإحداثيات، فإنّ الحوار الإستراتيجي بما يخص سورية تحديداً، يظهر بوصفه عملاً أمريكياً ضمن سيناريوهين: أ– إلهاء تكتيكي بحيث يجري الإيحاء بإمكانية الوصول إلى اتفاق كامل، ولكن دون الوصول إليه، بالتوازي مع محاولة تغيير الأمور على الأرض بحيث يجري اقتلاع سورية من تموضعها الدولي باتجاه الضفة الأخرى، وبعدها يصبح الاتفاق ممكناً، ب– في حال لم تنجح هذه المحاولة الأمريكية، فإنّ وجود الحوار يسمح بالعودة إليه ضمن رغبة حقيقية في التفاهم، حين يظهر لواشنطن أنّ الحل يمكن أن يتم دونها». لذلك «الحفاظ على دور سورية وتموضعها ليس مسألة شعارات فحسب، بل تتعلق بمستقبلها كدولة موحدة، والاتجاه الغربي لا يريدها كذلك».

«باختصار، فإنّ عملية الإلهاء التكتيكي التي يمارسها الأمريكي ضمن الحوار الإستراتيجي، تظهر الآن بوصفها تغطية على سباقٍ محمومٍ نحو إعادة ترتيب المنطقة بفرض أمرٍ واقع يكون الصهيوني مركزه... ضمن هذه الإحداثيات، فإنّ ما ينبغي على أستانا الذهاب نحوه بشكل فوري، هو مباشرة تطبيق الحل السياسي وفقاً لـ 2254، وبغض النظر عن الموقف الغربي، الذي سيضطر في حينه إلى الالتحاق، وسيتحول الإلهاء التكتيكي إلى حوار إستراتيجي فعلي».

كانت الحركة الوطنية الفلسطينية وكذا حركة التحرر ببعدها العربي في مصر وسورية والعراق ولبنان تمثل عدواً لمصالح كل من عبد الله الأول والصهاينة

تكاليف اللجنة الدستورية

ضمن ملف العملية السياسية وجدنا من خلال حسبة بسيطة في مادة نشرها المركز في 24 تشرين الثاني 2021 بعنوان «ما هي تكلفة ساعة عمل واحدة للجنة الدستورية السورية؟» بعد انتهاء أعمال الجولة السادسة للجنة الدستورية، وتبين أنه «تخصص الأمم المتحدة 10 مليون دولار سنوياً لتغطية تكاليف عمل اللجنة، أي أنها خصصت 20 مليون دولار خلال سنتين. وبما أنّ عدد ساعات العمل الفعلي للّجنة كما بينا أعلاه لم يتجاوز 100 ساعة عمل خلال سنتين، فإنّ هذا يعني أنّ تكلفة ساعة العمل الواحدة في اللجنة الدستورية تصل إلى حدود 200 ألف دولار، فقط لا غير!»

وكررنا في هذه المادة طرحنا السابق والذي ما زلنا نستمر في طرحه حول «نقل أعمال اللجنة الدستورية إلى دمشق مع تأمين الضمانات اللازمة من الأمم المتحدة ضمن جملة الأسباب حول ضرورة هذا النقل، فإن الحسابات السابقة، ليس المالية فقط، بل وأهم من ذلك حساب «الفعالية»، هو أحد الاعتبارات الأساسية».

القمة الثانية بين بوتين وبايدن

عقد الرئيسان قمتهما الثانية في بداية شهر كانون الأول الجاري، وقام المركز بمراجعة التغطية الإعلامية للقمة في تقرير نشره في 13 كانون الأول 2021 بعنوان «كيف تعامل الإعلام الغربي مع قمة بوتين وبايدن الثانية وتداعياتها على الملف السوري» وكان التركيز في الإعلام الغربي قُبيل القمة حول «تهديد الحرب الروسية على أوكرانيا» وصب في «قرع طبول الحرب وتحشيد الرأي العام حول الخطر الروسي الوشيك». ولكن تحول هذا التهديد إلى فتور مع اقتراب القمة. وبعد القمة كان هناك تراجع واضح من قبل الطرف الأمريكي لدرجة أن بعض الجهات الإعلامية الأمريكية لمّحت إلى استياء اتجاه بايدن لأنه أصبح ليناً اتجاه موسكو، وبعضها وصفته بالضعيف، والتوجه العام للجهات الإعلامية كان استبعاد إرسال قوات أمريكية إلى أوكرانيا، وهذا كان تحولاً كبيراً، بل معاكساً لما تم نقله قبل أسبوع من اللقاء.

ويمكن الاستنتاج من كل هذا أنه قد «انتهى عصر الهيمنة الغربية، ولم يعد ممكناً تجاهل الشرق أو تجاوزه وأنه ربما بات هنالك ما يشبه القانون حول سلوك الولايات المتحدة الإعلامي والعملي ضمن الصراع مع كل من الصين وروسيا: كلما ارتفعت اللهجة الحربجية للمسؤولين وللإعلام الغربي، كلما عنى ذلك أنّ حجم التنازلات التي يجري تقديمها... أكبر!»

وما يعنيه كل هذا فيما يتعلق بمنطقتنا وضمن التراجع الأمريكي بشكل عام وحتمية الانسحاب الأمريكي من المنطقة، فإن «المطلوب في سياق منطقتنا على الأقل، وسورية على وجه الخصوص كمركز يحدد مصيره ما إذا كانت المنطقة سوف تنهار أو تتعافى، هو التنسيق الأكبر بين روسيا والصين، أو بالمصطلحات السورية، بين أستانا والصين. الهدف الأساسي من زيادة وتكثيف التنسيق يجب أن يكون أخذ زمام المبادرات الإقليمية بكاملها، بطريقة تضمن العمل للوصول إلى حلول لكافة الأزمات وبأقرب وقت ممكن قبل أن تصل نقطة اللاعودة، ويجب أن تكون هذه المبادرات مصممة بطريقة لا يكون لوجود الولايات المتحدة أهمية فيها، بحيث يمكن المضي بها بغض النظر عن الدور الأمريكي و«نشاطاته» في المنطقة، مع ترك باب موارب لواشنطن إنْ وصلت لقناعة أن الوقت قد حان للاعتراف بالواقع ولتخفيف الخسائر بما فيها خسائرها».

مسيرة «تغيير السلوك»

في تقرير نشره المركز في 19 كانون الأول 2021 بعنوان «أين وصلت عملية «تغيير سلوك النظام»؟ سياق أدوات نتائج» دخلنا في مزيد من تفاصيل هذه السياسة من خلال النظر إلى المراحل الأساسية التي مرت على البلاد خلال السنوات العشر الماضية والتي كانت أولها: مرحلة «الإسقاط العسكري» والتي تلتها مرحلة «الاستنزاف العسكري» والتي امتدت من نهاية أيلول 2015 وحتى نهايات 2018، وخلال هذه المرحلة «بدأنا نسمع منذ أواسط 2016 وبشكل متقطع ومتباعد شعاراً جديداً هو «تغيير سلوك النظام» السيناريو الذي جرى اعتماده كان سيناريو «الاستنزاف العسكري»، والمقصود: هو استنزاف سورية نفسها على كل الجبهات، أي استنزاف الموالين والمعارضين على حدّ سواء، واستنزاف موارد البلاد وإمكانياتها وإمكانيات أهلها، وصولاً إلى تجفيفها من أية قوة، وتأهيلها لانهيار شامل. وكذلك استنزاف خصوم الغرب، روسيا وإيران وكان على الغرب أنْ يقر بفكرة الحل السياسي، وأن يتخلى إعلامياً على الأقل عن الحديث عن «رحيل النظام» وعن الإسقاط بالقوة.»

وكانت المرحلة الثالثة «الاستنزاف الاقتصادي» حيث امتدت «هذه المرحلة من نهايات 2018 حتى الآن راية هذا السيناريو كانت ولا تزال قانون قيصر هذه المرحلة شهدت سحب شعار إسقاط النظام من التداول نهائياً، وشهدت تسيّد شعار «تغيير سلوك النظام»، الذي بات يحمل تحته الأهداف السابقة نفسها، وإنْ مع بعض التعديلات هنا أو هناك».

والمرحلة الرابعة التي نسميها «تغيير السلوك» والتي لا يمكن اعتبارها «مرحلة مستقلة بذاتها، بل هي بشكل أو بآخر جزء من سياسة الاستنزاف، وربما هي بتعبير أدق: ذروة تلك السياسة؛ أي بعد أن يأخذ الاستنزاف مداه، فإنّ إنهاءه يصبح مشروطاً بتحقيق الشروط التي يريدها الغرب، أي بتحقيق غاياته الارتباط عميق كما تُظهر الوقائع، بين ما يسمى «التطبيع مع النظام» وبين «تغيير السلوك» وبين التطبيع، أي التطبيع مع الصهيوني؛ ولعل أهم المؤشرات على ذلك، هو أنّ أبرز عرابَين لما يسميه الغرب «تطبيعاً مع النظام»، هما نفسهما أبرز عرابين لعملية التطبيع مع الكيان الصهيوني، ونقصد الإمارات والأردن، اللتان تتقدمان بالوكالة للعب أدوار أكبر بكثير من حجمهما ووزنهما».

أما فيما يتعلق بالأدوات «بين الأدوات التي باتت واضحة بين ترغيب وترهيب، هي التحكم عبر العقوبات وغيرها بحنفية التدفقات المالية، والتي كانت وما تزال مغلقة بما يخص السواد الأعظم من السوريين، في حين يجري تضييقها وتوسيعها فوق أفواه النخب».

وفي المحصلة فإن «التماشي مع سياسة تغيير السلوك الغربي، لا يقود إلّا نحو أوضاع أشد سوءاً للشعوب والدول على السواء، بلْ وحتى «النخب» نفسها، فإنها تسقط، أو أنها تصبح أكثر استعداداً للسقوط!»

«التطبيع»

أصبح موضوع التطبيع خلال السنوات الماضية وبشكل مكثف خلال العام المنصرم أكثر تداولاً، وهنا نقصد «التطبيع» بالمعنى التاريخي في منطقتنا، أي مع الكيان «وهذا مرتبط بشكل وثيق مع الملفات التي تمت مناقشتها أعلاه» ولكن لوحظ تزايد استخدام ذات المصطلح في سياق الكلام حول إعادة العلاقات مع النظام، وبالأخص من قبل الأنظمة العربية، وهنا نقصد استخدام مصطلح «التطبيع مع النظام». بالتأكيد ليس من الصدفة استخدام ذات المصطلح.

الخطة ألفا و«التطبيع»

نشر المركز في 14 تشرين الثاني 2021 تقريراً بعنوان «الخطة ألفا – النسخة الثانية لماذا «التطبيع مع النظام»؟ ولماذا «التطبيع»؟» والذي سلط الضوء على أن «الإصرار على اختراع دورٍ ومعنى جديد لكلمة «التطبيع»، عبر استخدامها في سياق التقارب المتبادل بين النظام السوري وأنظمة عربية، ومن ثم تكرار الكلمة بمعناها الجديد والقديم في آنٍ معاً «خبريات تطبيع أنظمة عربية مع الكيان الصهيوني هي أيضاً خبريات كثيفة التكرار هذه الأيام».. كل ذلك ليس خفيّ الغاية، بل على العكس بيّن وواضح» وله شواهده السياسية والاقتصادية، بما في ذلك خط الغاز «العربي» والأدوار التي تلعبها الأردن والإمارات.

ما تسميه وسائل الإعلام الخليجية والعربية بعملية «تغيير سلوك النظام» ليس المقصود منها بأية حال من الأحوال فتح الباب أمام علاقات سليمة

قدم التقرير مراجعة تاريخية لخطة أو عملية ألفا، والتي كانت عملية استخباراتية أمريكية اشترك فيها البريطانيون لاحقاً و«جاءت جزءاً من الخطة الأوسع لواشنطن في الشرق الأوسط، والتي تضمنت «حزاماً شمالياً» للشرق الأوسط يضم: تركيا وإيران والعراق وحتى باكستان، «وهو ما ركّز عليه حلف بغداد». وحزاماً أوسط يضم الأردن ودول الخليج وفلسطين المحتلة، وهذا صمم لأجله مخطط التعاون الخاص بمياه الأردن، والذي كان هدفه هو محاولة دمج «إسرائيل» في المنطقة، بمساعدة الأردن، واستناداً إلى مياه الأردن... التي تطورت لاحقاً إلى كهرباء الأردن كما تُبين اتفاقية وادي عربة».

«بالتقييم التاريخي لنتائج الخطة ألفا، ورغم أنّه يسجل لعبد الناصر أنه وقف ضدها وقوفاً صلباً حتى آخر يوم من حياته، إلا أنّها قد نجحت في الوصولً إلى أهدافها بعد ذلك بشكل أو بآخر، عبر كامب ديفيد، التي فتحت الباب نحو وادي عربة وأوسلو».

«الظروف التي تعيشها منطقتنا الآن، تحمل علامات تشابه عديدة مع مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية؛ على الأقل في أنّ تلك المرحلة والمرحلة الراهنة، كلتاهما مرحلتان انتقاليتان بين توازن دولي قديم وتوازن دولي جديد، وفي أنّ أهم مواقع الصراع الجغرافي حول التوازن الدولي هي منطقتنا بالذات».

«المسار الذي تسعى الولايات المتحدة وكذلك «إسرائيل» إلى دفع المنطقة بأسرها للسير وفقه، وإذا كان يتضمن وصفات عامة من قبيل «ناتو عربي» و «خط غاز عربي»، وإلخ، فإنّه وعملاً بمقولة كيسنجر «لا حرب دون مصر، ولا سلام دون سورية»، وبعد أن تم ضمان الشطر الأول منها للأسف، على الأقل في المدى المنظور، فإنّ التركيز الآن هو على الشطر الثاني. والتركيز هذا كان قد بدأ بمحاولة إنهاء وجود سورية بأسرها، وبعد تعثر هذا الاستهداف بالدخول الروسي المباشر نهاية 2015، انتقل نحو الاستنزاف العسكري، ثم الاقتصادي، مع العمل على تكريس تقسيم الأمر الواقع وإطالة أمده قدر الإمكان، وصولاً إلى «مساومة تاريخية» يأملها الأمريكي والصهيوني، تتلخص في تفعيل وتكريس استقطاب حاد في المنطقة بأسرها، يصبح فيها العرب ومعهم «إسرائيل» في صف واحد، في مواجهة تركيا وإيران في الصف المقابل، وبالتأكيد روسيا والصين من خلف تركيا وإيران».

«ما تسميه وسائل الإعلام الخليجية والعربية بعملية «تغيير سلوك النظام»، وبـ «التطبيع مع النظام»، ليس المقصود منها بأية حال من الأحوال فتح الباب أمام علاقات سليمة بين سورية كدولة وبين الدول العربية الأخرى، وليس المقصود منه أيضاً هو خروج سورية من أزمتها أو تحسين أوضاع أهلها... بل المقصود وضوحاً، هو سحب سورية من اصطفافها التاريخي بشكل تدريجي «ولكن سريع»، نحو اصطفاف جديد تصبح فيه لا غربية الهوى اقتصادياً من حيث المتحكمين والفاسدين الكبار ضمنها نظاماً ومعارضة فقط، بل وأيضاً غربية الهوى سياسياً بشكل علني، ضمن استقطاب جديد شرقي– غربي، أداته الأساسية هي حرب الجميع على الجميع ضمن شعوب المنطقة، ولكن مع إبعاد أية حرب، أو حتى معركة، عن «إسرائيل»».

دور الأردن في التطبيع... مائة عام

لا بد ضمن الحديث حول التطبيع من التطرق إلى الدور الذي لعبته الأردن في التطبيع مع الكيان، وليس من محض الصدفة أن تكون أيضاً هذه الدولة في مركز الحديث حول «التطبيع مع النظام» ومشروع خط الغاز «العربي». لذلك خصص المركز تقريراً حول هذا الدور نشره في 6 كانون الأول 2021 بعنوان «الأردن.. مائة عام من التطبيع.. ما هو الدور التاريخي للإمارة/المملكة؟ وما هو الدور الحالي اتجاه سورية؟».

يعود تأسيس ما يعرف اليوم بالمملكة الأردنية الهاشمية إلى رسم الحدود في مناطق الانتداب البريطاني في مؤتمر القاهرة لعام 1921 ومنها ما تم تسميته آنذاك بمحمية شرق الأردن، والتي تم تكليف عبد الله «الأخ الأكبر لفيصل الذي تم تعيينه ملكاً لمملكة العراق» بإدارتها، والذي أصبح فيما بعد الملك عبد الله الأول. كانت رغبة عبد الله الأول «في التمسك بالسلطة ما دفعه إلى إقامة علاقة سرية ومباشرة مع «يشوف – التجمع اليهودي في فلسطين» ثم مع «إسرائيل» على جميع المستويات تقريباً» بما في ذلك المستوى الاقتصادي، وأحد الأمثلة على ذلك كان «بناء محطة طاقة بقيادة رجل الأعمال الصهيوني بنحاس روتنبرغ».

كما كان للأردن دور في حرب 1948 حيث إنه «كانت الحركة الوطنية الفلسطينية، وكذا حركة التحرر ببعدها العربي في مصر وسورية والعراق ولبنان، تمثل عدواً لمصالح كل من عبد الله الأول والصهاينة، مما دفعهما إلى التعاون عام 1948 تظاهر عبد الله الأول بمسايرة الدول العربية، وفي ذات الوقت حافظ على تواصله مع الجانب «الإسرائيلي» في الواقع، عبد الله الأول لم يكن يرغب في تدخل الجيوش العربية الأخرى في فلسطين، حيث كانت خطتهم منع التقسيم ومنع قيام الدولة اليهودية، بينما كانت خطته هي تنفيذ التقسيم والسيطرة على الجزء العربي من الأراضي الفلسطينية المجاورة لمملكته». قام عبد الله الأول بالتنسيق مع «الإسرائيليين» من خلال لقاءات مع غولدا مائير، وفي نهاية المطاف «كانت شرق الأردن الدولة العربية الوحيدة التي خرجت من الحرب دون أن تتكبد خسائر كبيرة، وكانت الوحيدة التي حققت مكاسب على الأرض».

بعد اغتيال عبد الله الأول، تم إجبار ولي عهده طلال على التنازل عن العرش، وتسليم العرش لابنه الحسين والذي كان مقرباً جداً من جده عبد الله الأول، وحتى في حكمه شابهه حيث عمل على إبعاد حكومة سليمان النابلسي في الخمسينيات «لأنها كانت ذات ميول ناصرية ولازدياد الحس العروبي والمناهض للغرب وأعاد بشكل رسمي الأردن إلى المعسكر الغربي».

وبعد حرب 1967 عندما «نقلت منظمة التحرير الفلسطينية ومجموعات فلسطينية أخرى قواعدها إلى الأردن، وبدأت في شن هجمات تستهدف «إسرائيل» من هناك» ولكن الحسين قلق من الدعم المتزايد للفلسطينيين في الأردن، وتدريجياً وصل الأمر إلى «شن الجيش الأردني سلسلة من الهجمات بهدف طرد جميع المقاتلين الفلسطينيين، وهذا ما أدى إلى خروجهم إلى لبنان عن طريق سورية».

في حرب تشرين الأول 1973 وحسب وثائق تم رفع السرية عنها بعد 40 عاماً «كان هناك تعاون وتنسيق غير عادي بين «إسرائيل» والأردن خلال الحرب» بما في ذلك اجتماع بين غولدا مائير والحسين في تل أبيب في أيلول 1973. لذلك ليس غريباً أنه في نهاية المطاف وصل إلى توقيع اتفاق وادي عربة، وهذه العلاقة بين الأردن والكيان ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، ولا يمكن النظر إلى أي من المشاريع أو المبادرات الإقليمية التي للأردن دور فيها بمعزل عن هذه العلاقة.

خسارة تخفيض الدعم

عام آخر من المأساة قد عبر تاركاً في ثنايا الذاكرة السورية الكثير من الصور المؤلمة، عام آخر ما زال يحمل صورةً لامتداد الأزمة، يحمل معها رائحة الحرب بحلة جديدة!

■ عبير حداد

العام 2021 كغيره من أعوام امتداد الأزمة، ازدادت خلاله وحشية القرارات الليبرالية الأكثر حدة على الإطلاق، رسمت على وجوه المواطنين المزيد من الأسى والقسوة، والكثير من الانتظار الإلكتروني الذي اعتاد عليه السوريون مكرهين، ومن ساعات طوال يقضونها بانتظار بضع دقائق وصل كهربائي ليتراكضوا بسباق مع الزمن لقضاء أهم حوائجهم قدر المستطاع، إلى صفعات القرارات الرسمية المتتالية، التي سقطت كوابل من الحجارة واحدة تلو الأخرى على رؤوس المواطنين، وقد تجاوزت معه الخطوط الحمراء نحو المزيد من تخفيض الدعم، الذي كان كفيلاً بزيادة انحدار الوضع المعيشي والخدمي الكارثي درجات عدة نحو المزيد من تعمق الفقر في الجيوب الفارغة، والجوع للأمعاء الخاوية.

سنستعرض فيما يلي القرارات الصادرة للعام 2021 بما يخص تخفيض الدعم الذي طال أهم المواد الأساسية «المدعومة»، من خبز، ومواد تموينية سكر ورز، بالإضافة إلى مازوت التدفئة والغاز المنزلي، وانعكاسها الكارثي المهول على الواقع المعيشي للمواطن، والمضافة غصباً عنه إلى تكاليف معيشته المتردية، من خلال حسبة سنجريها على أسرة مكونة من 5 أشخاص.

الخبز خط الدفاع الأول المسلوب

دخل الذكاء على المواد المدعومة واحدة تلو الأخرى منذ مطلع عام 2020، ولم يقتصر على ذلك فحسب، بل يكاد لا يخلو شهر إلا ويطرأ تعديل ما نحو المزيد من تخفيض الدعم عن أحد تلك المواد.

الخبز كان واحداً منها، فبعد تطبيق نظام الشرائح خلال شهر أيلول من العام 2020، ورفع سعر الربطة الواحدة من 50 إلى ال 100 ليرة خلال شهر تشرين الأول من السنة ذاتها، انخفضت حصة العائلة المكونة من 5 أشخاص بعدما كانت تحصل على 4 ربطات– كما كان سائداً قبل تطبيق نظام الشرائح– إلى 3 ربطات يومية، لم تنته سياسة تخفيض الدعم عند ذلك الحد بل استمرت مع العام 2021، وكان أولها يوم 10 تموز حيث تم رفع سعر ربطة الخبز من 100 إلى 200 ليرة مبيعاً من الأفران، و250 سعر مبيعها عبر المعتمدين، وخلال ذات الشهر، من اليوم 25، تم تعديل نظام الشرائح من 4 إلى 8 شرائح، حمل في طياته تخفيض دعم مبطن آخر، ولتنخفض حصة العائلة من 5 أشخاص إلى ربطتين يومياً، ليعاد إصدار قرار يوم 11 آب، يقضي بتعطيل جميع الأفران في دمشق يوم الجمعة، ثم آخرها جدول التوزيع الجديد الذي صدر يوم 17 كانون الأول، على أن يتم تطبيقه بتاريخ 2021/12/25.

خلال هذه الجولة السريعة نلمس نتائج تلك القرارات التي أدت إلى تخفيض الدعم، الكمي من جهة، ورفع سعري من جهة أخرى، وإن أسقطنا انعكاس تأثيره السلبي على عائلة مكونة من 5 أشخاص طيلة العام 2021 نجد ذلك وفقاً للجدول التالي:

	الحصة اليومية «ربطة»	الحصة الشهرية «ربطة»
النصف الأول لـ2021	3	90
2021/7	2	60
2021/8	2 عدا الجمعة	52
انخفاض الحصة الشهرية منذ مطلع 2021		38 ربطة

إذا كان وسطي الأجور بحدود 100 ألف ليرة فإن مبلغ مليوني ليرة يتجاوز وسطي الأجر السنوي أي إن الأسرة بالكاد ستستطيع تأمين حاجاتها من المواد الأساسية الخمسة أعلاه فقط!

مع التأكيد أن الحصة اليومية المخصصة من الخبز لا تكفي الأسرة، مما يضطرها إلى اللجوء لشبكات الاستغلال في السوق السوداء، وشراء الربطة الواحدة بـ 1000 ليرة سورية بالحد الأدنى، بالإضافة إلى أن وزن الربطة قد انخفض قبل بداية العام 2021 من 1300 غرام إلى 1100 غرام.

وإذا كانت الأسرة ستعوض النقص الذي طال حصتها بواقع 38 ربطة خبز شهرياً عبر السوق السوداء، فسيكون لديها شهرياً ما يقارب 38,000 ل.س، وعلى اعتبار أن التخفيض بدأ مع شهر تموز، نجد أن التكلفة منذ ذلك الحين حتى نهاية السنة تقارب 228 ألف ل.س، كقيمة فقط دون فارق نقص الوزن بواقع 200 غرام بكل ربطة، أي 7,600 غرام، بواقع 7 ربطات خبز إضافية تم تخفيضها من إجمالي المستحقات، بقيمة 7000 ليرة بالحد الأدنى من بدائل السوق السوداء، ليصبح المبلغ الإجمالي الذي خسرته الأسرة لقاء تخفيض الدعم على مادة الخبز بحدود 235 ألف ليرة سورية.

الغاز المنزلي فوق الموتة عصة قبر

لم تكن أسطوانة الغاز المنزلي لهذا العام بمنأى عن سياسة تخفيض الدعم، وكغيرها من المواد المدعومة طرأ عليها تخفيض متكرر، سواء عبر رفع السعر المباشر أو زيادة مدة استلام أسطوانات الغاز لمستحقيها، بمدة ذات مجال متغير، مثلاً خلال الربع الأول من العام تجاوز سقف مدة الاستلام 60 يوماً، ليعود بزيادة أخرى خلال الربع الثاني من العام لتصبح بسقف 70 يوماً، ثم وصلت خلال الربع الثالث إلى 90 يوماً، وأما نهاية العام فقد استقر عند مدة الانتظار تصل إلى 60–70 يوماً، علماً أن المدة المعلنة للاستبدال رسمياً ما زالت بواقع 23 يوماً، وبناءً عليه يحق لكل أسرة أن تقوم بـ 15 عملية استبدال خلال السنة حسب المدة الرسمية، وإذا اعتبرنا أن المدة الوسطية للاستبدال هي 70 يوماً، فسيكون عدد مرات الاستبدال خلال السنة لكل أسرة بحدود 5 أسطوانات فقط لا غير، بمعنى أن كل أسرة قد خسرت 10 أسطوانات من الغاز خلال العام، كما طرأ على سعر مبيع الأسطوانة خلال العام 2021 تغيراً سعرياً، الأول كان يوم 15 آذار حيث أرتفع سعر مبيع الأسطوانة إلى 3850 ل.س والذي وصل مبيعها عبر المعتمدين بين 4000 وال

للعام 2021 على الأُسر

4500 ل.س، ثم ليعاد رفع سعرها يوم 2 تشرين الثاني إلى 9700 ل.س وبعد إضافة أجور النقل تصبح 10450 ل.س، طبعاً ناهيك عن تخفيض كمية الغاز في الأسطوانة الذي وصل رسمياً لـوزن 10 كغ، بالإضافة إلى حجم الغاز المسروق من كل أسطوانة، الذي وصل إلى نصف كيلو من وزنها، عبر شبكات الفساد السوداء، أما أرباحه في جيوب هؤلاء فتعادل مئات المليارات سنوياً، ومن المؤكد أن النقص الحاصل تداركه رب الأسرة عبر السوق السوداء لسد حاجته، ووفقاً لذلك تكون خسارة الأسرة خلال السنة كقيمة لعدد أسطوانات الغاز فقط، دون الأخذ بعين الاعتبار فوارق الوزن، كما يلي:

	عدد الأسطوانات	سعر الحر «وسطياً»	الكلفة بـ ل.س
الربع الاول	3	30,000	90,000
الربع الثاني	2	50,000	100,000
الربع الثالث	2	90,000	180,000
الربع الرابع	3	130,000	390,000
المجموع			760,000

أي إن الأسـرة تكبدت خسارة لقاء 10 أسطوانات غاز اضطرت إلى تأمينها عبر السوق السوداء بما يقارب 760 ألف ليرة.

المواد التموينية تخفيض بأساليب ملتوية

خسارة العائلة السورية لم تقتصر عند ذاك الحد بل طالت المواد التموينية أيضاً، حيث اقتصر عدد دورات التوزيع خلال العام 2021 إلى 3 دورات توزيع كانت الأولى منتصف شباط والثانية يوم 4 تموز ومع بداية هذه الدورة تم رفع السعر الرسمي للسكر والرز إلى 1000 ل.س بعدما كان كيلو السكر بـ500 ل.س والرز بـ 600 ل.س، أما الدورة الأخيرة فقد بدأت يوم 4 كانون الأول، هذا التقصير الحاصل برّرته وزارة التجارة وحماية المستهلك بحجج وأساليب ملتوية، تارةً بسبب نقص التوريدات وتارةً أخرى بسبب توفّر السكر وعدم توفر الرز، بالإضافة إلى إصابة مادة الرز بالتسوس، وأحياناً أخرى لعدم استلام كافة المواطنين مستحقاتهم من المادتين مما ألزمهم بتمديد دورات التوزيع أشهر عدة... وغيرها الكثير من الحجج التي تندرج جميعها تحت بند سياسة تخفيض الدعم التي عقدت العزم عليها الحكومة حتى إنهائه، خصوصاً أن السورية لتجارة قد طرحت مادة السكر والشاي والزيت عبر صالاتها تحت مسمى «التدخل الإيجابي»، وبسعره الحر، فمثلاً السكر يباع في صالات السورية لتجارة بـ 2200 ل.س وبواقع 4 كيلو شهرياً لكل أسرة عبر البطاقة الذكية.

ألم يكن أولى على وزارة التجارة الداخلية أن تعوض النقص الذي حمّل الأسر السورية خسارة مخصصاتهم عن أربعة أشهر من السنة؟ ما يعني أن 4 ملايين أسرة لم تحصل على مستحقاتها الكاملة من السكر والرز، فخسارة الأسـرة المكونة من 5 أشخاص لأربعة أشهر هي 20 كيلو من سكر و20 كيلو من الرز، مع العلم أن كمية المخصصات من المادتين لا تسد الحاجة، مما فرض على المواطن شراء السكر والرز بسعره الحر من الأسواق وبتكلفة زائدة بعد تقليص عدد دورات التوزيع، أما بعد رفع السكر بنسبة 100% والرز بنسبة 66% نجد أن الخسارة التي لحقت الأسـرة من 5 أشخاص خلال الدورتين الأخيرتين، هي 20 كيلو سكر ، فالتكلفة على السعر السابق بحدود 10 آلاف ليرة، أما التكلفة على السعر الجديد بحدود 20 ألفاً، أي بحجم خسارة مضافة على تكاليف الأسرة بواقع 10 آلاف ل.س، وتكلفة 20 كيلو رز أيضاً على السعر السابق 12 ألفاً، أما على السعر الجديد 20 ألفاً بواقع خسارة 8 آلاف.

أما خسارة الأسرة المكونة من 5 أشخاص لمخصصاتها خلال الأشهر الأربعة التي لم تعوض بسبب تقليص عدد الدورات، والتي تم تعويضها عبر السوق الحرة فنجد ما يلي:

	كمية المخصصات غير الموزعة	السعر الحر	الكلفة الإجمالية
السكر	20	2200	44,000
الرز	20	3000	60,000
المجموع			104,000

مازوت التدفئة ماذا بعد الـ 50 لتراً

مازوت التدفئة مرّ بتعديلات عدة خلال العام 2021، حاله كحال أية مادة مدعومة ولصالح تخفيض الدعم كما جرت العادة، سواء عبر تخفيض الكميات الموزعة والمشروطة بتوفر التوريدات، أو عبر رفع السعر المباشر.

تعرضت مستحقات الأسـرة لتخفيضات كميّة عدة أدت لخسارة مازوت التدفئة بكل معنى الكلمة، بداية العام كان مخصصات البطاقة الواحدة 200 لتراً، وقد كان قبلها 400 ليتر، ليجري تخفيضها منتصف العام لـ 100 لتراً، وأخيراً التخفيض الأخير وصل إلى الـ50 لتراً! مع الأخذ بعين الاعتبار عدم توزيع تلك المخصصات لجميع المستحقين، لا عندما كانت 400 ليتر ولا عندما أصبحت 200 ليتر، ولا حتى بواقعها الراهن 50 ليتراً.

السؤال المشروع هنا هل فعلاً تلك الكمية التي قضم منها 150 لتراً من بداية العام يحق تسميتها بـ «المدعوم»، فالكمية لا تكفي أسبوعاً واحداً من أسابيع الشتاء، ومع كل ذلك الخنق بالكميات، رُفِعَ سعر مادة المازوت المدعوم من 180 ل.س إلى 500 ل.س، يعني فوق الموتة عصة قبر، من خلال الجدول التالي نوضح حجم الخسارة كقيمة لكمية 150 ليتراً تم تخفيضها بالسعر الحر:

	كمية النقص «ليتر»	السعر الحر «ل.س»	الكلفة الإجمالية
مازوت التدفئة	150	3000	450,000

مع التنويه أن الحاجة الحقيقية التي تستهلكها العائلة في فصل الشتاء لا تقل عن 500 لتر، أي بكلفة تتجاوز المليون والنصف ل.س، فهل يوجد عائلة من ذوي الدخل المحدود تقوى على سد تكاليف التدفئة المهولة تلك؟!

إجمالي الخسارات بالملايين

المادة	مبلغ الخسارة السنوي «ليرة»
الخبز	235,000
رز وسكر	104,000
مازوت تدفئة	450,000
غاز منزلي	760,000
الإجمالي	1,549,000

لا شك ان المبلغ الإجمالي السنوي أعلاه كخسارة كبير جداً على الأسر المفقرة سلفاً، طبعاً يضاف إليه فروق الأسعار الرسمية جرّاء تخفيض الدعم على الكميات المخصصة المسلمة من هذه المواد، وزناً وسعراً، والتي تصل بمجموعها تقريباً إلى مليوني ليرة سورية من كل حامل بطاقة ذكية من المستحقين.

فإذا كان وسطي الأجور بحدود 100 ألف ليرة، فإن مليوني ليرة يتجاوز وسطي الأجر السنوي، أي إن الأسـرة المفقرة بالكاد ستستطيع تأمين حاجاتها من المواد الأساسية الخمسة أعلاه فقط!

الحفاظ على التشوه

مع كل سياسات تخفيض الدعم المتّبعة، حتى إزاحته بشكل كامل، يتغنى أحد المتنفذين بأنه لا توجد دولة تقدم الدعم كما تقدمه الحكومة اليوم!

وربما وجب التذكير أن سياسة الدعم بحد ذاتها هي تعبير عن التشوه الحاصل في توزيع الثروة بين الأجور والأرباح، ولصالح الأرباح، وأن الأجور لا تغطي الحد الأدنى لتكاليف المعيشة، فهل تصلح المقارنة مع دول أخرى لا يوجد لديها ذلك الفارق الكبير بين الأجور وتكاليف المعيشة؟!

فمع السير قدماً بسياسات تخفيض الدعم نحو إنهائه، وفي ظل عدم وجود سياسة بديلة تصحح ذاك التشوه العميق في توزيع الثروة، يبدو أن ما يجري هو مزيد من التعميق له، نحو المزيد من التشوه والحفاظ عليه، وطبعاً المزيد من الجوع والفقر والتهميش والإذلال لكرامة المواطن.

في النهاية نجد أن أعباء التكاليف الإضافية الناجمة عن تخفيض الدعم، والقضم الذي جرى خلال العام 2021 وحده، والذي أجبر المواطن على تعويضه عبر شبكات السوق السوداء، كانت على الشكل التالي:

الحاجة الحقيقية للعائلة في فصل الشتاء لا تقل عن 500 لتر بكلفة تتجاوز المليون والنصف ل.س فهل توجد عائلة من ذوي الدخل المحدود تقوى على سد تكاليف التدفئة المهولة تلك؟!

أكثر من مليونين: وسطي تكاليف

مع انقضاء عام 2021، وصل وسطي تكاليف المعيشة لأسرة سورية مكونة من خمسة أفراد إلى أكثر من مليوني ليرة سورية، وهو ما يزيد من عمق الفجوة الهائلة بين هذه التكاليف والحد الأدنى لأجر العامل السوري الذي «ارتفع» بموجب المرسوم الأخير ليصل إلى 92,970 ليرة سورية غير كافية لتسد كلفة الغذاء الشهري للعامل نفسه!

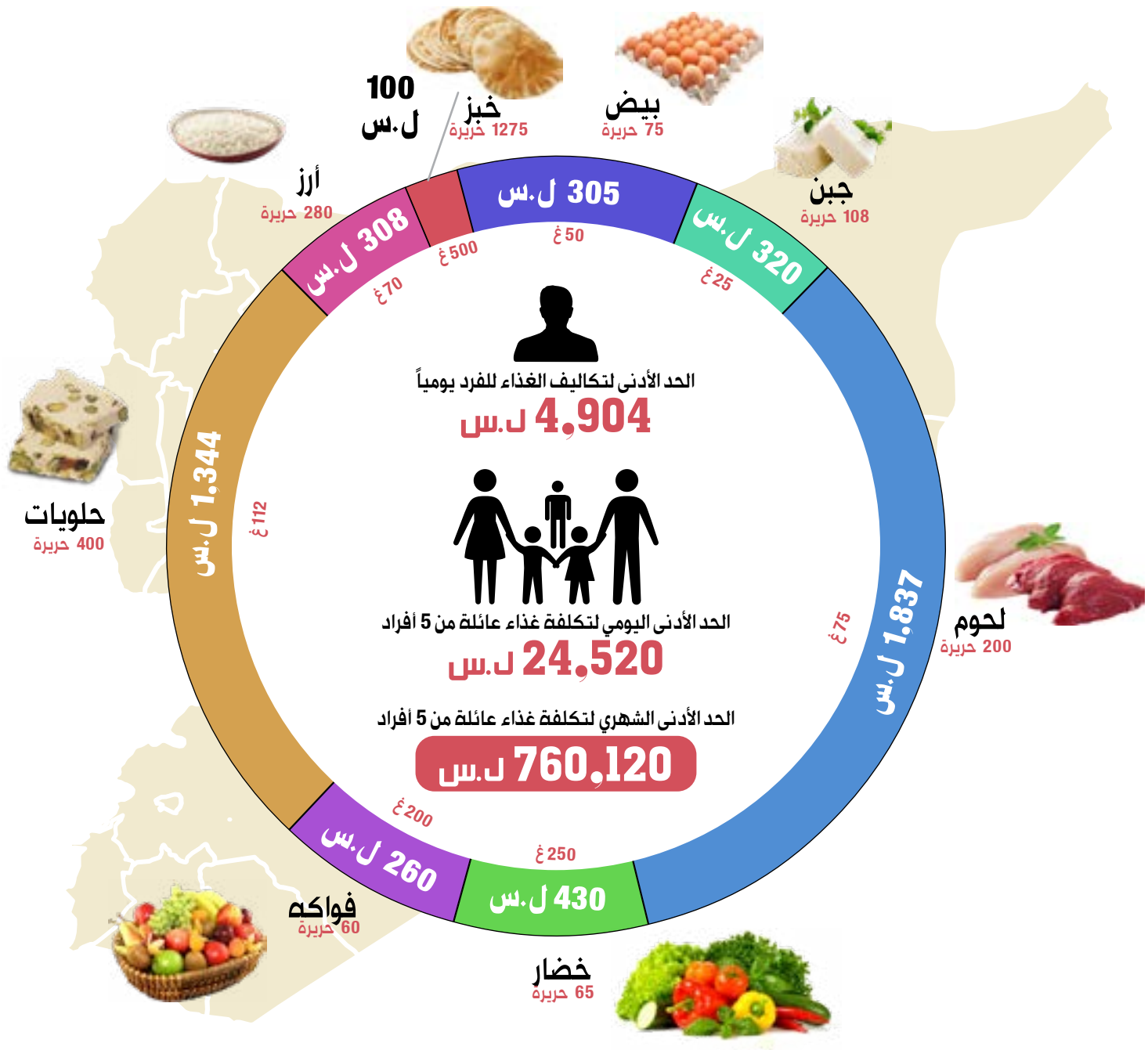

1,266,860 ل.س

الحد الأدنى لتكاليف معيشة الأسرة شهرياً بناءً على الحسبة المذكورة آنفاً، أي على اعتبار أن تكاليف سلة الغذاء تشكل 60% من مجموع تكاليف المعيشة

2,026,976 ل.س

وسطي تكاليف معيشة الأسرة السورية من 5 أفراد شهرياً بناءً على الحسبة المذكورة آنفاً، أي بحساب الحد الأدنى لتكاليف معيشة الأسرة مضروباً بـ1,6

■ قاسيون

للتذكير بطريقة الحساب، فقد اعتمدت قاسيون، انطلاقاً من العدد رقم 1036، طريقة محددة في حساب الحد الأدنى لتكاليف معيشة أسرة سورية من خمسة أشخاص. وتتمثل بحساب تكاليف سلة الغذاء الضروري «بناءً على حاجة الفرد اليومية إلى حوالي 2400 حريرة من المصادر الغذائية المتنوعة. ولهذا الهدف، اعتمدت قاسيون على حساب الوجبة الأساسية للفرد خلال اليوم الواحد، التي صاغها مؤتمر الإبداع والاعتماد على الذات للاتحاد العام لنقابات العمال في عام 1987، والتي يحصل من خلالها المواطن المنتج على السعرات الحرارية التي تكفل له الحياة وإعادة إنتاج قوة عمله من جديد»، على اعتبار أن تكاليف الغذاء هذه تمثل 60% من مجموع الحد الأدنى لتكاليف معيشة الأسرة، بينما تمثل الـ40% الباقية الحاجات الضرورية الأخرى للأسرة «تكاليف سكن، ومواصلات، وتعليم، ولباس، وصحة، وأدوات منزلية، واتصالات... وغيرها».

ارتفاع 8,2% خلال 3 شهور فقط

شهد وسطي تكاليف معيشة الأسرة في شهر كانون الأول 2021 ارتفاعاً بمقدار 152,776 ليرة سورية عن التكاليف التي تم تسجيلها في شهر أيلول الماضي، حيث ارتفعت من 1,847,200 ليرة سورية في أيلول إلى 2,026,976 ليرة في كانون الأول، ما يعني أنها ارتفعت بحوالي 8,2% خلال ثلاثة أشهر

معيشة أسرة سورية بداية 2022

تكاليف المعيشة أسرة والحد الأدنى للأجور

«ليرة سورية»

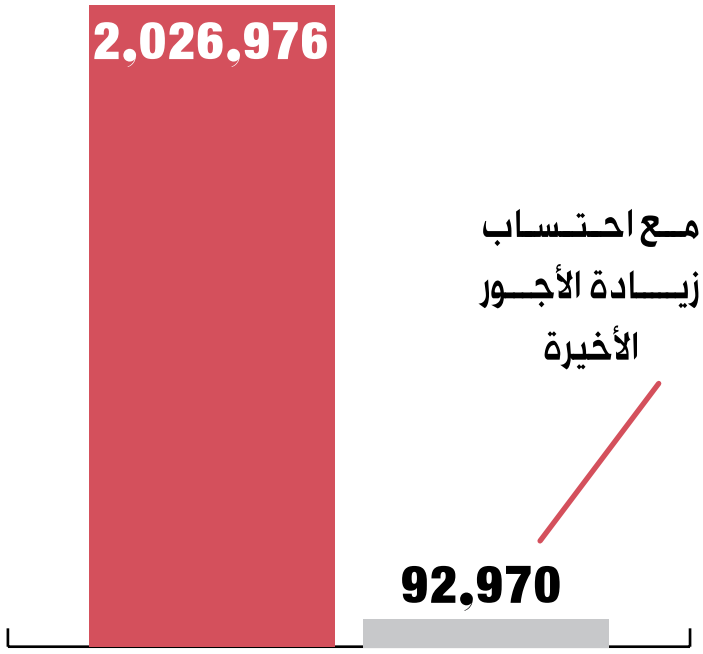

وسطي تكاليف معيشة الأسرة السورية من خمسة أفراد بين عامي 2020 - 2021

«ألف ليرة سورية»

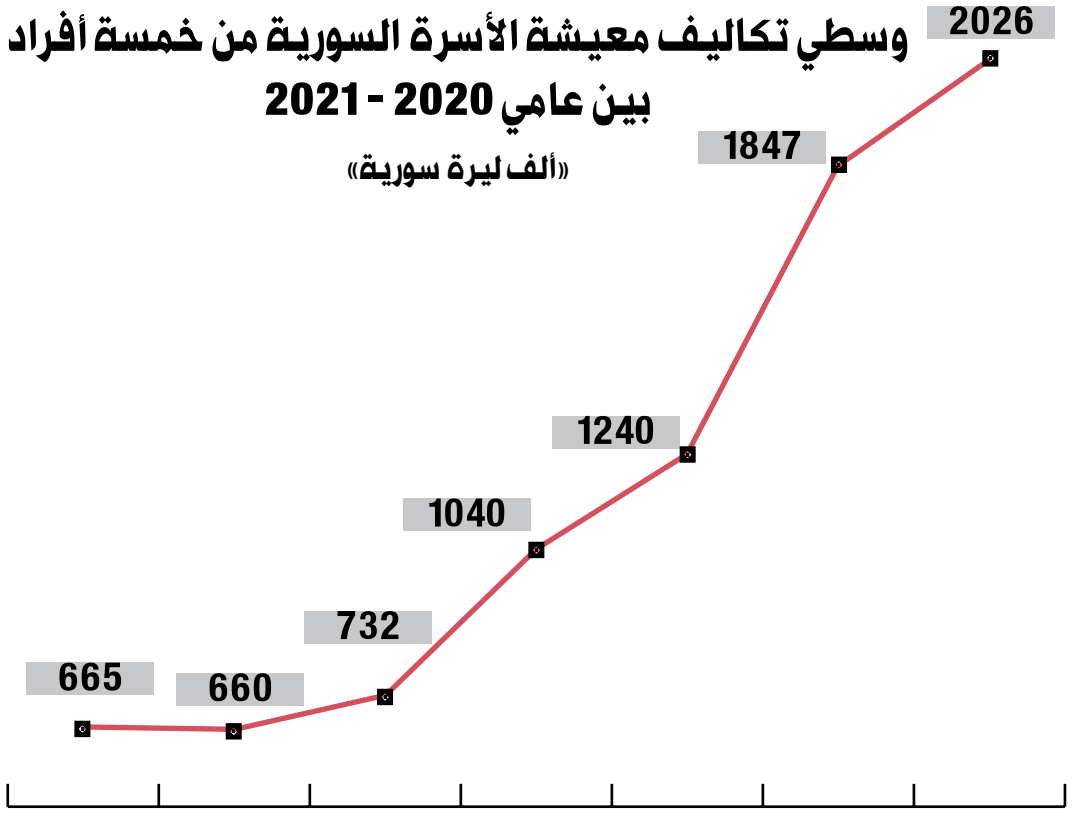

760,116 ل.س

هو المبلغ الذي تنفقه الأسرة السورية على الحاجات الضرورية الأخرى للأسرة: تكاليف سكن، ومواصلات، وتعليم، ولباس، وصحة، وأدوات منزلية، واتصالات... وغيرها والتي تبلغ نسبتها 40% من إجمالي تكاليف المعيشة.

كلفة الحد الأدنى للغذاء الشهري للفرد الواحد مقابل الحد الأدنى للأجور

«ليرة سورية»

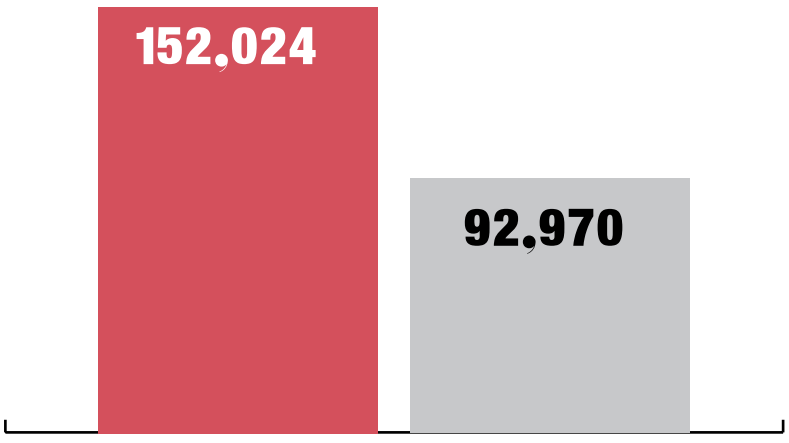

فقط، بينما لا تزال الأجور عند مستوى هزيل، حيث لا تشكل «بعد ارتفاع حدها الأدنى إلى 92,970 ليرة» سوى 4,5% من وسطي تكاليف المعيشة في كانون الأول.

ارتفاع استثنائي يطال اللحوم والجبن

ارتفع الحد الأدنى لتكاليف الغذاء الأساسية لأسرة من خمسة أفراد بنسبة 9,7% عن المستوى الذي تم تسجيله في شهر أيلول 2021، حيث انتقلت من 692,700 ليرة للأسرة شهرياً في أيلول، إلى 760,120 ليرة في كانون الأول، وذلك بالاعتماد على أسعار هذه المكونات في الأسواق الشعبية بالعاصمة دمشق.

وطالت الارتفاعات شتى المكونات، وبشكل خاص اللحوم «الدجاج واللحوم الحمراء» التي ارتفع ثمن 75 غرام منها للفرد الواحد يومياً من 924 ليرة في أيلول إلى 1,837 ليرة في كانون الأول أي ما يصل إلى 99%، وكذلك الحال بالنسبة إلى الحلويات، التي ارتفع سعر الـ112 غرام منها بنسبة 50% خلال ثلاثة أشهر مرتفعة من 896 ليرة إلى 1,344 ليرة.

وبالمنحى ذاته، سجلت أسعار الأجبان ارتفاعاً كبيراً خلال الفترة نفسها، حيث قفز سعر 25 غرام من الجبن من 212 ليرة في أيلول إلى 320 ليرة في كانون الثاني، أي أنها شهدت ارتفاعاً يزيد على 50%.

+64% للحاجات الأخرى

وارتفعت تكاليف الحد الأدنى للحاجات الضرورية الأخرى التي تشكل 40% من مجموع تكاليف المعيشة «مثل السكن والمواصلات والتعليم واللباس والصحة وأدوات منزلية واتصالات... وغيره» من 461,800 ليرة في أيلول إلى 760,116 ليرة في كانون الأول، أي أنها ارتفعت بمقدار 64% خلال ثلاثة شهور.

سوق العقارات.. برغم الكساد فرصة تربح واستغلال

أصاب سوق العقارات «بيعاً وإيجاراً» مزيدٌ من حال الكساد مؤخراً، ليس بسبب ارتفاع أسعارها فقط، بل بسبب قانون البيوع العقارية، الذي فرض تحصيل الضرائب المالية على عقود البيع والإيجار استناداً للقيمة الرائجة التي تحددها لجان الدوائر المالية، بالإضافة إلى الرسوم المقتطعة لمصلحة الدوائر العقارية، وكذلك بسبب الشروط الإضافية المفروضة حول فتح حسابات مصرفية للبائع والشاري، من أجل تسديد مبلغ مالي من قبل الشاري يودع في حساب البائع.

■ عادل ابراهيم

لا شك أن القانون زاد من حجم الإيرادات الضريبية لمصلحة الخزينة العامة، وزاد كذلك من إيرادات دوائر المصالح العقارية، لكنه من الناحية العملية لم يحد من عمليات المضاربة والاستغلال في سوق العقارات، ولم يقلل من آليات الاستغلال في بدلات الإيجار، برغم حال الركود الذي أصاب هذه السوق.

تباهٍ مشروع

تتباهى الدوائر المالية والعقارية بحجم الإيـرادات المجبية كضرائب ورسوم جراء توثيق عقود البيع والإيجار لديها، بعد تطبيق قانون البيوع العقارية، الذي صوَّب عمليات وآليات التحصيل الضريبي لمصلحة الخزينة العامة بشكل نسبي، برغم ما يمكن أن يوضع عليه من ملاحظات.

فبين الحين والآخر تطالعنا وزارة المالية ومديرية المصالح العقارية بأرقام توثيقية تشير إلى ما حققته من زيادات على إيراداتها إثر تطبيق قانون البيوع العقارية.

فقد كشف مدير المديرية العامة للمصالح العقارية، بتاريخ 2021/12/19، عن تسجيل 330 ألف عقد أول عشرة أشهر من عام 2021، بعائدات بلغت 11 مليار ليرة، وبالمقارنة مع نفس الفترة من العام الماضي فقد تم توثيق 300 ألف عقد بعائدات 5 مليار ليرة، أي إن الزيادة كانت 6 مليارات ليرة.

وكذلك فقد أصدرت وزارة المالية تقريرها الأسبوعي لبيانات البيوع العقارية في جميع المحافظات السورية، حتى 16 كانون الأول الجاري، حيث ارتفع متوسط عقود البيع يومياً إلى 1978 عقداً، ووسطي القيمة الرائجة للعقود المنفذة يومياً ارتفع إلى 55،6 مليار ليرة سورية، بينما انخفض عدد عقود الإيجار المنفذة يومياً إلى 853 عقد وسطياً، وقد بلغ العدد الإجمالي لعقود البيع المنفذة /168،3/ ألف عقد، وذلك من 3 أيار لغاية 16 كانون الأول من العام الحالي، أي 137 يوم عمل فعلي بعد خصم العطل.

300 ألف ليرة
الحد الوسطي لرسوم البيع

بناء على القيمة الرائجة المعلنة أعلاه، وبحال كانت نسبة الاقتطاع الضريبي 1% بحسب القانون، فإن المبلغ المحصل ضريبياً خلال يوم واحد يكون بحدود 556 مليون ليرة، وبوسطي عن كل عقد بيع موثق ما يعادل 280 ألف ليرة تقريباً.

وبناء على بيانات المصالح العقارية أعلاه، فإن كل عقد تم توثيقه حقق عائداً وسطياً وقدره 33 ألف ليرة.

أي إن التكلفة التقريبية لتسجيل كل عقد بيع لدى كل من الدوائر المالية والعقارية يقدر بحدود 313 ألف ليرة.

إن الرقم أعلاه هو ما يسعى تجار العقارات وسماسرتها للتهرب منه بعد تطبيق قانون البيوع العقارية، فواقع الحال يقول: إن المضطرين للبيع أو الشراء هم من يتحملون هذه الرسوم، وبأحسن الحالات يتم تقاسمها بين البائع والشاري.

ملاحظات لا بد منها

في البداية، تجدر الإشارة إلى أن الضرائب المجبية لقاء تسجيل عقود الإيجار ما زال يتحملها المستأجر وليس المالك، إكراهاً تحت ضغط استغلال الحاجة.

أما الضرائب المجبية لقاء تسجيل وتوثيق عقود البيع فغالباً ما يتم تقاسمها بين البائع والشاري، اتفاقاً بينهما وفقاً لنسب متفق عليها، وحسب درجة الاضطرار للعملية.

كذلك تجدر الإشارة إلى أن العدد الموثق لعقود البيع لدى الدوائر المالية والعقارية كما ورد أعلاه يعتبر منخفضاً نسبياً، ما يؤكد حال الكساد في سوق العقارات.

فالرقم الموثق يتضمن عمليات المتاجرة والمضاربة في سوق العقارات، وربما جزء محدود منه يعبر عن امتلاك بيت العمر من قبل البعض، ومن استطاع إليه سبيلاً، بظل ارتفاعات الأسعار المخيفة في هذه السوق.

الملاحظة الأخرى، أن عدد عقود الإيجار الموثقة يعتبر قليلاً، فرقم 853 عقد على مستوى القطر يومياً يعتبر محدوداً أيضاً، فهذا الرقم يندرج ضمنه العقود الجديدة والمجددة معاً، ومع ذلك فإن هذا الرقم يشير إلى حجم الطلب على الإيجار وإن بشكل نسبي.

فالرقم ضمناً يعبر عن عدد الأسر الباحثة عن مأوى يومياً، والتي وجدت ضالتها بالإيجار، وربما هناك غيرها الكثير لم تجد تلك الضالة بعد، وتسكن بالشراكة مع غيرها من الأسر، وبذلك يبدو الرقم على محدوديته مؤشراً على حجم الحاجة الماسة لمشاريع سكنية كبيرة، الأمر الغائب حتى الآن، برغم كل الحديث عن مشاريع المؤسسة العامة للإسكان بمختلف مسمياتها!

من يبيع ويشتري

واقع الحال يقول: إنه بظل حال الكساد الذي أصاب سوق العقارات حالياً، فإن عمليات البيع والشراء تتم غالباً تحت ضغط الحاجة، وهذه تعتبر فرصة بالنسبة لتجار العقارات وسماسرتها.

فإذا كانت العقارات تعتبر أحد أشكال الملاذات الآمنة للادخار بظل التذبذب السعري العام، وعدم استقرار القيمة الشرائية لليرة، وعدم وجود فرص استثمارية حقيقية في البلد للعديد من الأسباب التي لسنا بصددها الآن، بالإضافة لكونها فرصة تربح واستثمار بالنسبة لتجار العقارات، فإن حال الكساد الحالي أصبح متحكماً به أيضاً من قبل هؤلاء الحيتان، ولدى هؤلاء طرق التفاف كثيرة وواسعة تجنبهم الخضوع للضريبة، وتفسح المجال أمامهم للمزيد من استغلال الفرص للتكسب.

وما تجدر الإشارة إليه بهذا الصدد أيضاً، أن سوق العقارات أصبح الفرصة الوحيدة المتاحة وبسهولة أمام البعض لتبييض الأموال المنهوبة، أو المشكوك بمصدرها، وخاصة من التجارات المشبوهة والتهريب، والتي تزايدت معدلاتها خلال سني الحرب والأزمة، وربما ساهم هؤلاء برفع أسعار العقارات بشكل أو بآخر، لكن ذلك لم يضعهم في خانة المنافس لحيتان تجار العقارات من كل بد، بل يلجؤون إليهم من أجل إتمام عمليات البيع والشراء بسلاسة، وكلاهما يستغلان المضطرين لعمليات البيع عملياً.

فمن يبيع عقاره الآن هو المضطر، وغالباً من المفقرين تحت ضغط الحاجة، إما لتسديد الديون المتراكمة عليهم بسبب تردي الأوضاع المعيشية، أو تمهيداً للسفر والمغادرة خارج القطر، لتغطية نفقات السفر، بالإضافة طبعاً لحالات البيع المتكاثرة التي تتم في الكثير من المناطق التي تعرضت عقاراتها للدمار الجزئي أو الكلي، والتي تعتبر فرصة مُثلى للاستغلال والتكسب من قبل سماسرة العقارات، وهذا ما جرى ويجري، وهو ما يتم السعي إليه من قبل سماسرة العقارات الذين يتحينون الفرصة للانقضاض على المضطرين للبيع، للتبخيس في سعر عقاراتهم أولاً، ولتحميلهم الرسوم والضرائب ثانياً.

فعلى الرغم من حال الكساد الحالي في سوق العقارات إلا أن المتحكمين الكبار به ما زالوا على حالهم من التحكم، بل ربما تزايد هذا التحكم وتمركز أكثر مما سبق، بسبب ارتفاع الأسعار الكبير الذي طرأ على العقارات.

لا حل لمشكلة السكن إلا بتدخل الدولة

إذا كان من نتائج لقانون البيوع العقارية أنه حقق ريعاً إضافياً لخزينة الدولة، فإنه من دون شك لم يحدّ من المضاربة في سوق العقارات، ولم يحدّ من عوامل الاستغلال فيه، بل تزايدت معدلات الاستغلال بشكل أكبر، وتمركزت السوق بأيدي كبار الحيتان أكثر، فالحاجة للسكن في تزايد مطرد، وتزايدت أكثر بسبب الحرب والدمار والتشرد.

بالمقابل، فقد أصبح امتلاك منزل بالنسبة للغالبية الساحقة من السوريين من المستحيلات، بظل واقع الأسعار المخيف والمنفلت في هذه السوق، وأساليب استغلال المتحكمين فيه.

وبكل اختصار، يمكن القول: إنه لا حل لمشكلة السكن في البلد إلا من خلال تدخل الدولة المباشر فيه، عبر مشاريع كبيرة وواسعة ومديدة وممتدة على رقعة البلد، أي بوضع سياسات سكن وإسكان حقيقية خاصة بمحدودي الدخل والمفقرين، فكل ما عدا ذلك ضرب من الوهم، لن يستفيد منه إلا كبار الحيتان، كما هو عليه الحال!

سوق العقارات أصبح الفرصة الوحيدة المتاحة وبسهولة أمام البعض لتبييض الأموال المنهوبة أو المشكوك بمصدرها وخاصة من التجارات المشبوهة والتهريب

بقعة ضوء- كوميديا قهرية مُظلمة

طبعاً كلما شي اندرج تحت مسمى «بقعة ضوء» كل الناس يلي ما عندا بُعد ونظرة عميقة- بتفكر أنو هل العنوان ما بيندرج تحتو إلا فقرات مضحكة...

■ دارين السكري

إلا إنو الحقيقة «بقعة الضوء» الأساسية هي عبارة عن تجسيد للواقع المر يلي عم يعيشو المواطن بطريقة كوميدية... وإذا صفنا شوي بالشي يلي عم نشوفو أو نقراه تحت هل العنوان منكتشف أديش الحياة يلي عايشها يلي اسمو «سوري» بتبكي...

وعلى سيرة «سوري» يلي بتبكي، رح خبركن عن شغلة بتبكي كمان «قال حتى كلمة الاعتذار وانت عم تبكي اسمها سوري»..

بس الـ «سوري» الشخص يلي بدنا نحكي عن حياتو يلي بتبكي عنجد كانت أكتر تفاقم هل السنة.. يلي مندرجة مع بداية الربع الأول من القرن الـ21 ويلي معتبرين فيه فتوحات علمية وتطور وتكنولوجيا.. وكل هل القصص يلي السوري محروم منها بالإجبار...

وأكتر شي محروم منه من هل القصص المتطورة هي الكهربا... يلي صار عمرها أكتر من قرن عملياً.. بتتخيلو شو متطورة.. الكهربا يلي لهلق الحكومة معتبرتا من الرفاهية المُطلقة.. وبكير كتير لتوصل لشعبا ع مدار الـ24 ساعة.. بخلاف حكومات البلدان التانية يلي من زمان كتير رايح من راسا موضوع الكهربا... وصار من المنسيات..

فالكهربا إلها فوائد كتيرة متل ما منعرف.. بتمشي شغل، بتنور ع الواحد حياتو، بيصير في إنتاج محلي وعوائد للحكومة والمواطن، بتأمن أية حاجة من احتياجات المواطن ع كل الأصعدة وبأسعار رخيصة....

يعني مثلاً وع حسب ما تم نقلو ع لسان أحد أصحاب المخابز الخاصة لما سألتو هديك المواطنة «ليش كيلو الصمون بـ 3400 ليرة والله حرام».. فما كان ردو إلا «بعرف إنو غالي بس الكهربا هي السبب... لو عم تجي الكهربا كنا بعناه بأرخص من هيك بكتير بس والله عم نحط كل شهر 9 مليون حق مازوت للمولدات كرمال نشتغل»..

فشفتو كيف الكهربا مهمة؟؟؟

لما الحكومة بتتكرم ع هل الـ «سوري» وبتجبلو الكهربا ساعة زمان.. فصارت توفر ع حالا وتقطع كهربا البلدية، يعني الشوارع عم تكون معتمة تماماً.. كأنك نايم بس وأنت مفتح عيونك...

وبهل الحالة عنا حالات فظيعة عم تصير وقتا.. مثلاً: السواقين عم يضطروا يشغلوا فلاشر سياراتن كرمال يشوفو الطريق منيح..

وبهل الحالة يلي عم يقطع الشارع بالعتمة عم يعرض حياتو للخطر لأنو الفلاشر ما بيمد لمسافات بعيدة...

وبما إنو الشذوذ الأخلاقي كتران كتير بظل الإفقار المجحف يلي صاير بالبلد.. فأي شخص بكلا الجنسين معرض للخطف أو التحرش والتعرض لأشياء لا أخلاقية.. مندون ما حدا ينتبه ولو كان الشارع معبى عالم بسبب الظلمة الحالكة يلي عم تتنعم فيها شوارع البلد...

وكتير عم نشوف هل الحالات هي من الدعس والتحرش والخطف.. وأحياناً عم نسمع أصوات بالشارع من صريخ وعياط بنات.. يمكن تكون عم تتعرض للخطف أو تتعرض للتحرش ما منعرف... والأنكى إنو عبين ما تشوف قدامك وتطلع ع الشارع بيكون يلي ضرب ضرب ويلي هرب هرب.. حتى ولو بدك تطلع من الشباك لتشوف شو صاير ما رح تقدر تشوف أصبعتك لتشوف العالم...

إنو شو بدكن؟؟ شو وجعكن؟؟ بدكن العالم تاكل بعضا أكتر من هيك؟ بدكن تطبقوا مقولة «البقاء للأقوى وgame over لـ صاحب الحظ الأضعف»؟ ولا شو؟

بالحد الأدنى خلو عندكن شوية ضمير وشغلو إنارة الشوارع... لك البلد تحولت لغابة بكل معنى الكلمة ع ايديكم.. وهل الوحوش الفلتانين يلي فيها إذا بيضلوا هيك رح يتوحوشوا عليكن بالنهاية... وإذا ما كنتوا آكلين هم هل الـ«سوري» كلوا همكن وهم ولادكن لبعدين.. بالنهاية كلنا مندرجين تحت جنسية «سوري»... «سوري» منكم يعني!!

البرد لم يستثن المدارس ومازوت التدفئة بالقطّارة

تناولنا في مواد سابقة سوء تجهيز المدارس بشكل عام من مستلزمات ووسائل، ومن المياه ودورات المياه والنظافة عموماً، حتى أن كثيراً من المدارس لا تقوم الوزارة بترميم ما فسد من أثاثها، من الأبواب والنوافذ وغيرها، لتبقى الصفوف مضرباً للعوامل الجوية، من شمس وهواء صيفاً وشتاءً، ويزيد الأمر فجاجة بتضافره مع حالة الطلاب المناعية الضعيفة، بسبب سوء التغذية وتدهور الوضع المعيشي، فأولادنا لا قدرة لهم على تحمل الحر أو البرد.

■ عمار سليم

ويطل علينا شتاء جديد، وعلى ما يبدو أنه من الشتاءات القاسية، ليغرس البرد سكاكينه الحادة في أجساد الأطفال في المدارس التي يقضون فيها 5 ساعات بين المقاعد والباحات.

كيف حرصت وزارة التربية والحكومة على تأمين الدفء للمدارس؟

يبلغ متوسط عدد الغرف في بعض المدارس، للطلاب والإداريين، 35 غرفة مختلفة المساحة، فكم يحتاج هذا العدد من المدافئ، ومن مادة المازوت، حتى يشعر الطلاب، ومعهم المعلمون والإداريون طبعاً، بالدفء في هذا الشتاء القارس؟

ولو اعتبرنا أن الأيام الباردة هي 50 يوماً فقط كدوام فعلي، وأن خزان الوقود لكل مدفأة يتسع لـ5 لترات ليوم واحد، فنحن بحاجة إلى 8,750 لتراً من المازوت لتغطية كافة الغرف والصفوف، طبعاً بحال تم تأمين مدافئ لجميع هذه الغرف.

ولكن الكرم الحكومي يمنّ على المدارس بأنها يزودها بمخصصات من مازوت التدفئة بمقدار 1,100 لتر فقط لا غير وسطياً!

فهل تلبي هذه الكمية الحاجة لتدفئة الصفوف في مثل هذا البرد القارس؟

فبحساب سريع لحصة كل صف وغرفة في المدرسة استناداً لرقم المخصصات أعلاه، سنجد أنها تقارب نصف اللتر في اليوم!

فهل نصف اللتر يكفي لتشغيل المدفأة 5 ساعات لتدفئة الصف الكبير؟

أم أن دفء المشاعر الحكومية سوف يفي وحده بالغرض!

توزيع خارج عن الرقابة

إن الحصة المستلمة من المخصصات تفضي إلى توزيع نصف لتر لكل صف في الأيام الباردة، هذا إن تم توزيعها بشكل عادل وفق التقسيم السابق، ولكن ماذا إذا وقعت هذه المخصصات بين أيد غير أمينة وفي ظل الفساد المستشري في هذا القطاع سرقة وتلاعباً، وما أكثرها! فقد تم تسجيل العديد من حوادث سرقة المازوت من المدارس خلال الفترة القريبة الماضية، عندها سوف يبقى الطلاب معرضين طوال هذا الفصل لنزلات البرد، مع الاضطرار لتسميك اللباس أو لجلب أغطية من منازلهم، دون أن يجدوا دفئاً في هذا المكان الذي تعلموا أنه بيتهم الثاني، ولا غرابة أن يكون بيتهم الثاني أشد برداً من بيتهم الأول ذي الـ 50 لتراً أيضاً بالرعاية الحكومية!

فكيف ستتم العملية التعليمية بشكلها الصحيح إذا افتقد الطلاب أهم معطيات التركيز والانتباه عندما تكون أجسادهم ترتجف برداً؟

طبعاً مثل هذا السؤال وغيره لا يجيبنا عنه إلا الحكومة افتراضاً، فهي أبرع من يقدم التبريرات والذرائع، حتى لو عانى كل الأطفال في المدارس من البرد، وحتى لو تجمد الطلاب على مقاعدهم، فالحل دائماً في جعبتها، وهو معروف، التبرير والتبرير والتبرير فقط.

وليبق كل الواقع السيء والمتردي على ما هو عليه، إن لم يزدد تراجعاً وترديا!

مُتعبون حد الإنهاك!

**ماذا يعني أن أكثر من 90% من السوريين هم من المفقرين؟
وماذا يعني أن 60% من السوريين في حالة انعدام الأمن الغذائي؟**

■ عاصي اسماعيل

إنه يعني بكل بساطة أن مقومات الحياة بالنسبة لهؤلاء غير متوفرة، بل غير متاحة لهم، ليس بسبب انتفائها أو ندرتها، بل وبكل وضوح بسبب احتكارها من قبل القلة الثرية الناهبة والمسيطرة والمتحكمة، وتجييرها لمصلحتهم فقط لا غير، وبكل وحشية أيضاً!

تهميش الغالبية وتوحش الأقلية

فكل كوارث سني الحرب والأزمة، وبسببها، كانت بطرف بالنسبة للغالبية من السوريين، والكوارث المستحدثة في عام 2021 كانت بطرف آخر، ولأسباب إضافية أخرى!

فمثلاً الأسواق متخمة بما لذ وطاب من المواد الغذائية، لكن أسعارها تفوق إمكانية استهلاكها من قبل الغالبية المفقرة، التي تُشد عليها أحزمة تخفيض «الدعم»، ويفرض عليها المزيد من التقشف، وكذلك فإن السوق السوداء متخمة بمازوت التدفئة لكن سعره فوق قدرة هؤلاء، وما عليهم إلا الصبر وتحمل البرد، وإن مرض أحدهم فلا حول ولا قوة، فلا غذاء ولا مناعة ولا إمكانية للعلاج!

بمقابل ذلك ينعم كبار الحيتان والفاسدين، وأثرياء الحرب والأزمة الجدد، بالغذاء والدفء والترف، حد الفجور العلني والصاخب بمظاهر الإسراف، مع الكثير من ممارسات الوقاحة والاستقواء والتوحش!

فكيف لهؤلاء المفقرين من الغالبية بعد كل ذلك مثلاً أن يكونوا شركاء في حل أزمتهم الوطنية العميقة والشاملة، وهو ما يجب أن يكون افتراضاً؟!

ومن له مصلحة في تكريس تهميش وإبعاد هذه الغالبية عن الخوض في تقرير مصيرها ومصير البلد؟

تبديد قسري لسبل الحياة

الواقع يقول، مع ما تؤكده التقارير الرسمية وغير الرسمية، أن غالبية السوريين تعرضوا للتشرد والنزوح واللجوء، بنتيجة الحرب والمعارك التي دارت وشملت غالبية المدن والمناطق والبلدات والقرى، وهؤلاء بمجملهم وصلت تقديراتهم بين الداخل والخارج الى أكثر من 15 مليون سوري، وكذلك فإن غالبية السوريين في الداخل أصبحوا تحت خط الفقر، أكثر من 90% منهم، بل وصل بعضهم لما دون عتبة العوز الغذائي، أي إن الغالبية من هؤلاء المفقرين باتت جائعة، 60% من السوريين، وكذلك تزايدت معدلات ونسب البطالة، وتراجعت مستويات الإنتاج «الصناعي والزراعي والحرفي»، مع استمرار توقف الكثير منها وخروجها من دائرة الإنتاج، مع تسجيل المزيد من التردي على مستوى الخدمات العامة «كهرباء- مياه- صرف صحي- طرقات- مواصلات- طبابة- تعليم- نظافة..»، والأخطر من كل ذلك زيادة تفشي الآفات والظواهر السلبية الهدامة، بما فيها ذات الطابع الجرمي «الفساد- الخطف- السرقة- السلب- القتل- المخدرات- الدعارة- تجارة الأعضاء- التهريب..».

فلم تعد مفردة مُتعب تعبر عن حال المواطن، فقد بلغ الأمر حد الانهاك، بل تجاوزه بأشواط، وخاصة في عام 2021 الذي يمكن تسميته عام الإنهاك الرسمي، فالغالبية من السوريين لم يعد لديهم ما يكفي من الجهد، ولا من الوقت، ولا من الإمكانات، كي يستطيعوا التفكير بحالهم ومعاشهم ومآلهم وحياتهم، فقد تم استنفاد كل طاقاتهم وجهدهم وإمكاناتهم ووقتهم لما دون الصفر المكعب، مع إبداع المزيد من آليات الاستغلال والاستنزاف، ولحدود انسداد الأفق والكآبة والإحباط واليأس، مع جرعات مضافة من التيئيس المنظم أيضاً!

ولعل حالات الانتحار المسجلة مؤشر على ذلك، والازدحام على كوات الهجرة والجوازات، والباحثين على ملاذات خارجية هرباً نحو حياة أفضل، مؤشر إضافي آخر، وما أكثر المؤشرات التي تدل على ذلك!

فتبديد سبل العيش والحياة بالنسبة للغالبية المفقرة أصبح قسرياً على أيدي سالبي مقوماتها، وعن سبق إصرار وتصميم!

فكيف من الممكن أن يعيش المواطن في ظل هكذا ظروف، معقدة ومتشابكة ومعادية له على طول الخط، وكيف له أن يفكر بغد أطفاله، أو بمستقبل بلاده؟!

الجور في استنفاد الإمكانات

الأنكى من كل ذلك أن السياسات الليبرالية المطبقة عززت كل ما سبق، بل زادت من نتائجها من الضغوط على الغالبية المفقرة والمهمشة، معيشياً وخدمياً، وعلى كافة المستويات، وقد كانت بجرعات أكبر خلال عام 2021 وصلت إلى درجة التوحش الطبقي بكل وضوح، والأدلة على ذلك أصبحت أكثر من أن تحصى، اعتباراً من الاستمرار بسياسات الأجور المجحفة، مروراً بسياسات تخفيض الدعم لحدود إنهائه، بالتوازي مع الاستمرار بسياسات تخفيض الإنفاق العام، وصولاً إلى افتعال الأزمات بدلاً من حلحلتها، مع غض الطرف عن موبقات الأسعار الاستغلالية في الأسواق، وخاصة السوداء، وليس انتهاءً بمحاباتها الفجة لمصلحة طغمة الأثرياء والناهبين وأمراء الحرب وأصحاب النفوذ، على حساب مصالح الغالبية من السوريين، كما على حساب المصلحة الوطنية، بكل إصرار وصلف!

لم تعد مفردة مُتعب تعبر عن حال المواطن فقد بلغ الأمر حد الإنهاك بل تجاوزه بأشواط وخاصة في عام 2021 الذي يمكن تسميته عام الإنهاك الرسمي

فهل من جور أكبر من أن تحصي الحكومة عدد أرغفة الخبز على المفقرين؟

وهل من جور أكبر من أن تخفض مازوت التدفئة، عبر تخصيص 50 ليتراً لهذه الغاية فقط لا غير لكل أسرة بهذا الزمهرير؟

وهل من جور أكبر من أن تبرر ارتفاعات الأسعار، بسبب العقوبات أو غيرها، وتكون مهمازاً في ذلك، وخاصة للسلع الغذائية الأساسية والمشتقات النفطية؟

وهل من جور أكبر من أن يكون وسطي الأجر الشهري بحدود 100 ألف ليرة، مقابل النفقات الضرورية للحد الأدنى من متطلبات المعيشة التي قاربت حدود المليوني ليرة؟

كثيرة هي أمثلة الجور، الرسمي وغير الرسمي، بحق الغالبية المفقرة، والتي تزايدت حدّتها خلال عام 2021، حيث استنفدت إمكانات هذه الغالبية لأبعد الحدود، حتى المساعدات على محدوديتها، الفردية استجداءً من قبل الأقرباء في الخارج، أو عبر المنظمات، لم تسلم من الاستغلال والاستنفاذ أيضاً!

السياسات المنهكة

إن السبب الرئيسي في جل ما يعانيه السوريون من كوارث، وبكل مباشرة ووضوح، هي السياسات الحكومية الظالمة بحق الغالبية، المُفقرة والمُجوّعة والمُنهكة، ليأتي بعدها مبررات وذرائع الحرب والحصار والعقوبات، وغيرها من الأسباب الكثيرة الأخرى، داخلاً وخارجاً، التي تشابكت لتحيل حياة المواطن إلى جحيم مطبق، في ظل استمرار الأزمة الوطنية العميقة والشاملة، التي لا يريد البعض المستفيد الخروج منها «كبار الحيتان والناهبين والفاسدين وأمراء الحرب والأزمة»، بل على العكس يسعون إلى تعزيزها وتعميقها أكثر، حفاظاً على مصالحهم الأنانية والضيقة، ليس بالضد من مصالح الغالبية من السوريين فقط، بل وبالضد من المصلحة الوطنية أيضاً.

فهل من غرابة مثلاً من أن نربط بين رغيف الخبز «الذي بات يمثل أحد أشكال الإنهاك جوعاً من تكاثر أزماته المفتعلة، والحلول المبتكرة رسمياً من أجله عبر الاستعانة بالذكاء، على حساب المزيد من انتهاك حقوق المفقرين» وبين الخروج من الأزمة والحل السياسي؟

تغيير السياسات مهمة وطنية

بات من الواضح أن المطلوب من استمرار هذه السياسات الجائرة والظالمة هو استمرار إنهاك وتهميش الغالبية من السوريين، والمزيد من انتهاك حقوقهم، بما في ذلك حقهم بالحياة نفسها، ليس بغايات استمرار استغلالهم ونهبهم، أو لتكريس النفوذ والسيطرة بيد القلة المتحكمة الناهبة والفاسدة فقط، بل لعل الأهم هو تحييد دور هذه الغالبية عن الشأن الوطني العام، وعلى كافة المستويات «الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية و..»، والأكثر أهمية عن دورها المفترض على مستوى الخروج من الأزمة الوطنية الشاملة، عبر الحل السياسي كبوابة للتغيير الجذري والعميق والشامل المطلوب، الذي يلبي طموحهم ويحقق رغباتهم وإرادتهم في استعادة حقوقهم المستلبة، وبهذا تتقاطع نتائج هذه السياسات، ومصالح من تمثلهم، مع مصالح كل المعادين للمصلحة الوطنية، داخلاً وخارجاً.

فالاستمرار بسياسات الإنهاك المعيشي والخدمي للغالبية الساحقة والمسحوقة، لا يزيد من عمق الكارثة التي يعيشها السوريون فقط، بل ويطيل من عمر الأزمة، ويعرقل السير نحو حلها، لذلك فإن القطع مع جملة هذه السياسات، وتغييرها جملة وتفصيلاً، يعتبر مهمة وطنية لا تقل أهمية عن غيرها من المهام الوطنية الكثيرة الأخرى المنتصبة أمام كل الوطنيين السوريين.

مسؤولية سياسات التجويع عن نَشر كوفيد-19

يتأثر الجهاز المناعي بشدّة بسوء التغذية، مما يؤدي إلى انخفاض دفاعاته ضد العوامل الممرضة، مع ما يترتب على ذلك من زيادة مخاطر الإصابة بالعدوى والمرض الشديد.

■ ترجمة وإعداد: قاسيون

ومن الثابت علمياً وجود علاقة بين التكوين البدني للشخص، وخاصةً الحالتين المتطرّفتين «الكتلة النحيلة المنخفضة أو السمنة المرتفعة» وبين تدهور الحالة السريرية لكثير من الأمراض، بما فيها المُعدية والفيروسية. وبالطبع في سورية اليوم الاضطرابات الغذائية التي تدخل في «سوء التغذية والحرمان منها وانعدام الأمن الغذائي والجوع» أشيع بكثير من مشكلات السِمنة. ووفقاً لأرقام رصدها تقرير سابق لـ«قاسيون» «في 18 آب 2021 – ويُرجّح أنها باتت أسوأ الآن»: «يعاني عددٌ قياسيّ من السوريين من انعدام الأمن الغذائي، ويكافح 12,4 مليون شخص حالياً للحصول على وجبة أساسية. ويمثل هذا العدد ما يقرب من 60٪ من سكان البلاد، وقد زاد هذا العدد بنسبة مذهلة بلغت 4,5 ملايين شخص خلال العام الماضي وحده. ويوجد نحو 1,8 مليون شخص آخرون معرضون لخطر انعدام الأمن الغذائي».

وربطاً بذلك، تقدّم المادة التالية أدلّة علمية تثبت المسؤولية المباشرة لسياسات التجويع المتّبعة في نشر وباء كوفيد-19 وتعريض حياة من يصابون به لخطر المرض الشديد أو الموت، وذلك استناداً إلى بحث نشرته مجلة «تطورات في علم التغذية» في أيار 2021 بعنوان «مرض فيروس كورونا «كوفيد -19» والحالة الغذائية: الحلقة المفقودة؟» حيث نورد فيما يلي ملخصاً عن أبرز نتائجه.

تعمل الحالة التغذوية والنظام الغذائي على تعديل الالتهاب ووظيفة المناعة، ولذلك يمكن لتعديلهما أن يؤثر على نتيجة كوفيد-19. سنناقش هنا الأدلة المتوفرة حالياً بشأن دور الحالة التغذوية في مرضى هذه الجائحة، فضلاً عن الأهمية المحتملة لتعديل حالة التغذية في الوقاية من العدوى وإدارتها.

الحالة التغذوية وكوفيد-19

إن الظهور المفاجئ وغير المتوقع للأمراض المعدية الجديدة، مثل فيروس نقص المناعة البشرية «الإيدز»، ومتلازمة الجهاز التنفسي الحادة الوخيمة «سارس»، وغيرها... والآن جائحة COVID-19، قد أكد ضعفنا أمام العوامل المسببة للأمراض الناشئة حديثاً. وتم قبول حقيقة أنّ الحالة التغذوية للمُضيف «الشخص الذي «يستضيف» العامل المسبب للمرض ويصاب به» هي عامل رئيسي مؤثر بالنتيجة التي تؤول إليها مجموعة متنوعة من الأمراض المُعدية المختلفة.

نقص التغذية

نقص التغذية حالة مَرضية يفشل فيها المَدخول الغذائي في تلبية احتياجات الجسم من الطاقة أو التغذية، ويمكن أن تنشأ عن عدم كفاية تناول المغذيات الكبيرة «مثل البروتينات والسكريات والدسم» أو المغذيات الدقيقة «كالفيتامينات والأملاح والمعادن الضرورية»، أو زيادة استهلاك الطاقة بشكل غير طبيعي، أو خلل في امتصاص العناصر الغذائية، أو أي مزيج من هذه العناصر.

وفي جميع أنحاء العالم، كان هناك ما يقدر بنحو 821 مليون شخص يعانون من نقص التغذية عام 2017 وهي حالة منتشرة على نطاق واسع في البلدان النامية. ويرتبط سوء التغذية بالبروتين والطاقة، وكذلك النقص في مغذيات مفردة مُعيَّنة، إلى حد كبير بزيادة مخاطر الإصابة بالأمراض المعدية بشكل رئيس.

وتُظهر الخلايا المناعية إنفاقاً عالياً للطاقة، ويزداد الطلب على الطاقة والتغذية خلال فترات الإصابة. على سبيل المثال، يكون معدل الاستقلاب «الأيض» الأساسي أعلى بكثير أثناء الحُمّى بسبب تنشيط الاستجابة المناعية. ونظراً لأن الخلايا المناعية لا تحتوي على احتياطي كبير من العناصر الغذائية، فإن امتصاص سكر الغلوكوز والأحماض الأمينية ضروري لتنشيط الجهاز المناعي. وفي الواقع، يؤدي سوء التغذية إلى انخفاض عدد الخلايا المناعية، وخاصة الخلايا التائية. على سبيل المثال، تم إثبات أنّ الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية يصبح لديهم نقص في الخلايا المناعية من نوعَي اللمفاويات التائية «المساعدة» CD4+ و«السامة للخلايا»CD8+ . علاوة على ذلك، يؤدي سوء التغذية إلى ضمور الأعضاء اللمفاوية الأولية، مما يقلل من أعداد الخلايا التائية والخلايا البائية، ونقص الكريات البيض. يساهم هذا العدد المنخفض من الخلايا المناعية في ضعف الاستجابة المناعية لسوء التغذية.

يؤثر كل من نقص التغذية والإفراط في التغذية بشكل كبير على كتلة الأنسجة الدهنية، مما يؤدي إلى تعديل العوامل التي تفرزها هذه الأنسجة، مثل الهرمونات و«السيتوكينات». وأثناء الجوع، يكون تنشيط الخلايا المناعية محدوداً من خلال إشارات «الأديبوكين»، مما يقلل من استهلاك المغذيات، وبالتالي يصبح الجسم أكثر عرضة للإصابة.

الطعام «دواء» ثبتت فائدته في الوقاية من كوفيد وعلاجه وعلى أيّة سياسات جادّة لمكافحة الوباء أنْ تؤمّنه للناس

التجويع والتطفير؟

قد يؤثر نقص التغذية أيضاً على تكاثر الفيروس. حيث ارتبطت زيادة الإجهاد التأكسدي في النماذج الحيوانية المدروسة بالفوعة الفيروسية «شدة المرض الذي يسببه» وحدوث طفرات الجينوم القابلة للتكاثر التي لوحظت في فيروس كوكساكي والإنفلونزا. ونظراً لوصف هذه الظاهرة لعائلتين متميزتين من فيروسات RNA، فمن الممكن استنتاج أن سوء التغذية قد يؤثر على نتائج الأمراض الأخرى التي يسببها الفيروس. [تعقيب المحرر: هذه الملاحظة مثيرة للاهتمام حقاً، وتطرح فرضية تستحق مزيداً من الأبحاث عن دور سوء التغذية في المجتمعات في تسهيل حدوث طفرات ونشوء متحوّرات جديدة من فيروس كورونا سارس-2 المسبب لكوفيد-19، الذي ينتمي أيضاً إلى فيروسات RNA].

سوء التغذية: مؤهّب لكوفيد ونتيجة له

يوجد المستقبل ACE2، وهو المستقبل الحاسم لدخول فيروس «سارس كوف-2» إلى الخلايا الضحية، على نطاق واسع في خلايا الجهاز الهضمي، مثل تلك الموجودة في ظهارة الأمعاء. لذلك، قد يتأثر الجهاز الهضمي أيضاً بعدوى SARS-CoV-2، مما يؤدي إلى اضطرابات الجهاز الهضمي وضعف الحالة التغذوية للمرضى. وفي الواقع، تم الإبلاغ عن فقدان الشهية والإسهال والقيء والغثيان وآلام البطن الخفيفة في مرضى كوفيد-19. وفقدان الشهية هو الأكثر شيوعاً بين الأعراض المرتبطة بالجهاز الهضمي. يعتبر الإسهال من الأعراض الهضمية الشائعة الأخرى، حيث يصيب حوالي 2% إلى 50% من المرضى. ويمكن أن يساهم فقدان الشهية مع الإسهال في اختلال التوازن الغذائي، وبالتالي في تأخير الشفاء «تم توثيق ذلك من خلال دراستين على الأقل».

ومن الواضح أن الأعراض الهضمية لكوفيد-19 قد تكون أكثر شدة لدى مرضى سوء التغذية. وقد يكون هذا الجانب أكثر أهمية بالنسبة لكبار السن تحديداً، حيث إن انخفاض القدرة على الحركة إلى جانب استنفاد كتلة العضلات لديهم، وضعف تناول المغذيات، أمران كثيرا الحدوث لدى كبار السن.

المسنّون الجائعون في خطر مُضاعف!

نظراً لانتشار المرض الوخيم بين المرضى المسنّين، فمن المحتمل أن تكون نسبة كبيرة من هؤلاء المرضى يعانون من نقص التغذية وقت دخولهم المستشفى. وبالتوافق مع هذه الفرضية، بلغ خطر الإصابة بـ«سوء التغذية» malnutrition و«نقص التغذية» undernutrition لدى الأفراد الذين تزيد أعمارهم عن 65 عاماً، نسبة 27,5% و52,7% على التوالي في دراسة مقطعية أجريت على مرضى مصابين بكوفيد-19.

دواء للوقاية من كورونا وعلاجه

في الختام نورد حرفياً ما خلصت إليه الدراسة المذكورة: «مع عدم وجود نهاية وشيكة للوباء، يجب تشجيع الناس على تحسين نمط حياتهم لتقليل المخاطر في كل من الموجات الحالية واللاحقة لكوفيد-19. العادات الصحية مهمّة ليس فقط لضمان الاستجابة المناعية المُثلى ولكن أيضاً لمنع و/أو علاج نقص التغذية والسُمنة والأمراض المصاحبة المرتبطة بالسُمنة لدى مرضى كوفيد-19. لذلك، يجب تقديم مشورة واضحة حول تأثير الحالة التغذوية في نتائج كوفيد-19 لتنبيه السكان إلى ذلك. وأخيراً، يجب التأكيد على أن الحالة التغذوية يجب أن تؤخذ في الاعتبار أيضاً في السياسات الصحية المصممة لتقليل تأثير كوفيد-19». ونعيد للتأكيد: يجب على السياسات الصحية «وهذه مسؤولية الدولة بالدرجة الأولى» أن تحسّن الحالة التغذوية للناس لتقليل تأثير كوفيد-19.

استؤنفت خلال الأسبوع السابق محادثات فيينا من أجل إعادة إحياء الاتفاق النووي الإيراني «خطة العمل الشاملة المشتركة» بعد عدة أشهر من توقفها، ولا تزال المفاوضات مستمرة، وفاجأت إيران الجميع بطلبها بتعديل مسودة الاتفاق بشكل جذري قبل عدة أيام من الاستئناف، مما أنتج ردود فعل غربية حادة وضعت إشارات استفهام عديدة حول هذا المطلب قبيل المحادثات، وذلك وسط تصعيد «إسرائيلي» كبير، فما معنى طلب طهران وغايته؟

إيران وقصّ الأجنحة الأمريكية من المنطقة

مع اقتراب جولة محادثات فيينا الأخيرة وما تلاها، برزت أحاديث سياسية وإعلامية مختلفة ركّزت في معظمها على توقعات إيجابية لنتائج هذه المفاوضات، وأن إعادة إحيائه باتت مسألة وقت لا أكثر.

■ يزن بوظو

تسعى السعودية بالاستناد لمؤشرات التقارب مع إيران نحو تهدئة التوتر وحلحلته إثر حالة الانكفاء الأمريكي نفسه مما يجعلها في موقعٍ أفضل

لكن المرحلة التي تلت الانتخابات الرئاسية الإيرانية عادت كما يبدو لطرح شكوك حول جدية إيران في الوصول إلى اتفاق، وفي الوقت الذي انقسمت التحليلات، فمنها من ربط حماس إيران المنخفض اتجاه المفاوضات بفوز «رئيسي» في الانتخابات، ومنها من رأت أن إيران كانت تمضي في هذا الاتجاه منذ البداية، وخصوصاً أنها استطاعت الاستجابة بشكل جيد للظروف الدولية والعقوبات المفروضة عليها، ونجحت بتسريع عملية توجهها شرقاً، مما أثبت فاعليته بتأريض العقوبات الأمريكية.

وسعت طهران في الوقت نفسه إلى العمل في الإقليم للوصول لمناخ أقل توتراً مما يثبت أقدامها أكثر، فقامت مع دول الخليج بخطوات ثنائية تهدف إلى تخفيف حالة العداء والبحث عن الأرضية المشتركة مع دول الجوار.

الاتفاق النووي وأولويات طهران

بعد ان انسحبت واشنطن من الاتفاق النووي سابقاً وجدت طهران نفسها مضطرةً لإعادة ترتيب أولوياتها، وخصوصاً أنها استطاعت في الفترة الماضية تطوير برنامجها النووي بشكل ملحوظ، وهو ما دفعها للبحث عن اتفاقٍ أفضل، وخصوصاً أنها باتت تضع تطوير وتحسين علاقتها مع دول الشرق ودول الجوار ضمن أولوياتها.

وإذا ما كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي نفسها التي كانت تسعى للعودة إلى الاتفاق النووي الإيراني رغم التعنّت الشكلي لها، ومحاولاتها لفرض شروط جديدة سرعان ما تخلت عنها بالفترة السابقة التي برزت خلالها مؤشرات قرب إعادة الإحياء، باتت هي من تسعى الآن خلف عودتها من أجل إلزام طهران بشروط وقواعد تحكم عملية إنتاجها للطاقة النووية، وعودة عمل المراقبين الدوليين بصلاحياتهم السابقة داخلها.

إثر هذه الإحداثيات والمعادلات الإيرانية الجديدة، وقراءتها للموقف الأمريكي، بدأت برفع سقف مطالبها، نحو طلب تغيير مسودة الاتفاق، وصف بالراديكالي رغم عدم وضوح ماهية هذه التغييرات بعد، حيث أكد ذلك كل من ميخائيل أوليانوف ممثل روسيا الدائم لدى المنظمات الدولية في فيينا بتصريحه «تأثر شركاؤنا الغربيون بشدة عندما اقترح الجانب الإيراني تنفيذ مراجعة جوهرية للغاية، لإجراء تغييرات جذرية على مسودة الوثيقة النووية، والتي تم الاتفاق عليها خلال الجولات الست السابقة. لقد بدا للشركاء الغربيين أن هذا العرض كان راديكالياً للغاية، ومن هنا جاء رد الفعل المتشنج»، وتصريح المتحدثة باسم الخارجية الألمانية: «درسنا المقترحات بعناية وباستفاضة، وخلصنا إلى أن إيران انتهكت تقريباً جميع التسويات التي تم التوصل إليها خلال شهور من المفاوضات الصعبة... نتوقع عودة إيران إلى المفاوضات بمقترحات واقعية»، وبيان الخارجية الفرنسية: «لا تشكل المقترحات التي تقدمت بها إيران الأسبوع الماضي أساساً معقولاً».

إثر التهديد بفشل المفاوضات بعد رد الفعل الأمريكي والأوروبي، سارع الغربيون لجعل مواقفهم أكثر اعتدالاً، معتبرين بأن المقترحات قابلة للنقاش، وقد صرح وزير الخارجية الروسي لافروف بعدها، من أنه لا داعي للتهويل» مؤكداً: أن الفريق التفاوضي الإيراني تقدم باقتراحات عارضها الغربيون بشدة، ثم اعترفوا بأنها «تستحق الدراسة وقابلة للحياة».

الولايات المتحدة الأمريكية هي نفسها التي كانت تسعى للعودة إلى الاتفاق النووي الإيراني رغم التعنّت الشكلي لها ومحاولاتها لفرض شروط جديدة

أنفاس صهيونية أخيرة

خلال هذه الأوقات، مارس الكيان الصهيوني كعادته في كل جولة مفاوضات نووية، حملة تصعيد إعلامية وسياسية وعسكرية عالية، وقال وزير خارجية العدو يائير لابيد: إن عدم التوصل لاتفاق نووي مع إيران يعد أفضل من وجود اتفاق سيء «بالنسبة لإسرائيل»، ليصرح المتحدث باسم لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في البرلمان الإيراني، محمود عباس زادة، بأمرٍ مشابه: إن «إيران تسعى إلى اتفاق جيد لكنها تعتبر عدم التوصل إلى اتفاق أفضل من اتفاق سيئ» «بالنسبة لإيران».

وهدد الكيان مرةً تلو أخرى بالتحضير لضرب إيران عسكرياً بشكل واسع، بينما تختلف معه واشنطن تماماً، لأنها غير قادرة على تحمل تبعات عمل عسكري على إيران، ولأن مصلحتها لا تقتضي تصعيداً مع طهران في هذا الوقت تحديداً، مما يدفع واشنطن للجم تل أبيب، التي بات الجميع يدرك أن تهديداتها لن تخرج عن إطارها الإعلامي، كونها لن تدخل في هذه المعركة منفردة. فلا «إسرائيل» تمتلك ترسانة عسكرية قادرة على مجابهة القوة الإيرانية بها، ولا الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على تنمية ودعم هذه الترسانة في الظرف الراهن، كما أن كلاً منهما يدرك بأن حرباً مع طهران تعني صراعاً أكبر من حدوده الإقليمية، وعليه فإن الولايات المتحدة تحاول التعامل مع إيران والحدّ من قوتها بالوسائل السياسية والدبلوماسية على المدى الاستراتيجي، بينما تسعى تل أبيب- بهدف إفشال مفاوضات فيينا- على تعويم الطرح العسكري بديلاً عن الحوار السياسي.

ورغم ذلك، تعاملت إيران مع التهديدات «الإسرائيلية» بجدية، مهددةً بضرب مفاعل ديمونا النووي «الإسرائيلي» وتدميره بالكامل، وصرح الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي، إن «أي تحرك معاد من قبل الأعداء سيواجه رداً شاملاً وحاسماً من القوات المسلحة للجمهورية الإسلامية الإيرانية، وسيغير المعادلات الاستراتيجية بشكل مؤثر وكبير وجوهري»، ثم نشرت وكالة الأنباء الإيرانية لاحقاً مقطعاً مصوراً لمناورات «الرسول الأعظم 17» الإيرانية أطلق خلالها 17 صاروخاً بالستياً، وحاكت استهداف مفاعل ديمونا النووي.

وسواء خلصت مفاوضات فيينا إلى اتفاق أم لا، إلا أن ما يجري حوله يزيد من شرخ العلاقات الصهيونية- الأمريكية واختلاف سياستهما واستراتيجيتهما، ففي حين تعمل واشنطن على تنظيم تراجعها، تدرك تل أبيب أن هكذا تراجع، دون إضعاف أعدائها- وهو ما يجري- يعني ارتفاع الخطر الوجودي على «إسرائيل»، والمعضلة تكمن بأن هذه الأخيرة دون الولايات المتحدة، لا وزن لها في المنطقة بصرف النظر عن كل اتفاقات ومسرحيات «التطبيع» الجارية.

التقارب السعودي

في المقابل، كانت المفاوضات الإيرانية- السعودية في العراق خلال الأشهر الـ 6 الأخيرة تمضي على قدم وساق، بمؤشرات إيجابية عموماً

رغم قلتها، إلا أنها أثمرت في نهاية المطاف، بعد كل المشاورات النظرية، إلى خطوة عملية ملموسة تمثلت بعودة 3 دبلوماسيين إيرانيين للعمل في السعودية، وفقاً لتصريح من وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان، بعد انقطاع تام في العلاقات دام 5 سنوات، مؤكداً في الوقت نفسه استمرار المفاوضات ومعلناً عن جولة جديدة في العاصمة بغداد خلال الفترة القادمة.

تسعى السعودية– بالاستناد لمؤشرات التقارب مع إيران– نحو تهدئة التوتر وحلحلته إثر حالة الانكفاء الأمريكي نفسه مما يجعلها في موقع أفضل، إلا أن واشنطن كانت ولا تزال تعبث بعلاقة الرياض وطهران عبر «المستنقع» اليمني الذي يضم كلاً منهما، فبالتوازي مع جولة المفاوضات وعودة الدبلوماسيين جرى تصعيد كبير في الحرب اليمنية بين الحوثيين وقوات التحالف العربي خلال الأسبوع الماضي، والذي شاركت به الإمارات «المطبعة» بشكل فعّال وواضح، ولكنها لم تحدث أي أثر يذكر على نتائج التقارب، حتى الآن على الأقل.

العام الأخير للوجود الأمريكي في العراق؟

على الرغم من النجاح المؤقت للسياسة الأمريكية بالتعاون مع الحكومة العراقية برئاسة الكاظمي باستبعاد حلفاء إيران عن البرلمان العراقي لصالح التيار الصدري خلال الانتخابات الأخيرة، وما نشب عنها من أزمة سياسية جارية بين مختلف القوى السياسية العراقية، لم تبد طهران أية ردود فعل تصعيدية، وخصوصاً أنها باتت في موقع القوة، وأعلنت تأييدها لنتائج الانتخابات، وتحاول تهدئة مختلف الأطراف، بما فيهم القوى الحليفة لها، فيما يبدو بمراهنتها على عامل الزمن لمرحلة ما بعد الخروج الأمريكي في نهاية العام الجاري، وما سيتلوه بشكل متسارع بهذا الأمر دون الحاجة للتدخل المباشر منها، والذي سيؤدي في نهاية المطاف– بعد الخروج الأمريكي– إلى إضعاف منظومة «بريمر» بأكملها، وليس السلطة وحدها، ومن غير كثير من الاجتهاد: فإذا ما كان حلفاء واشنطن التاريخيين «السعودية مثالاً» باتوا يسلكون طريقاً مخالفاً للمصلحة الأمريكية بشكل موضوعي، فإن العراق نفسه، وبشكل موضوعيّ أيضاً، قبل أية عوامل ذاتية– رغم التأكيد على شرط وجودها– مرشحٌ لذلك أيضاً.

هل فشلت مساعي واشنطن في إثيوبيا؟

تطورات جديدة تجري في إثيوبيا، فبعد أن كانت وسائل الإعلام الغربية قد أعلنت اقتراب موعد سقوط أديس أبابا على أيدي مقاتلي جبهة التيغراي، وقادت الولايات المتحدة حملة إعلامية ودبلوماسية بهدف التضليل على ما يجري، انعكست الآية بسرعة نسبية وتراجعت قوات جبهة التيغراي.

■ عتاب منصور

استطاعت القوات التي يقودها رئيس الوزراء الأثيوبي آبي أحمد قلب المعادلة، واستمرت بتوجيه ضربات لقوات المعارضة حتى تراجعت وعادت إلى حدود إقليم التيغراي.

تبدل المعادلة

أعلنت جبهة «تحرير شعب تيغراي» منذ أيام أنها بدأت بالانسحاب التدريجي من منطقتي أمهرة وعفر إلى حدود إقليمها في شمال البلاد، وفي الوقت الذي أعلن المتحدث الرسمي باسم القوات أن هذا الانسحاب جاء بناءً على قرار اتخذته قيادة الجبهة لفسح المجال أمام المساعدات الإنسانية، وفتح باب للمفاوضات، اعتبرت قوات الحكومة المركزية أن الخسائر العسكرية الفادحة التي لحقت بقوات التيغراي هي السبب الحقيقي وراء هذا الانسحاب. وخصوصاً أن قوات المعارضة كانت قد رفضت طلباً سابقاً من قبل آبي أحمد للتراجع تمهيداً للمفاوضات.

تداولت بعض وسائل الإعلام أن التحولات الجديدة في الصراع جاءت نتيجة لوصول مساعدات عسكرية للقوات المركزية، وتحديداً من قبل تركيا، وهو ما قلب الموازين بهذا الشكل المتسارع.

النتيجة الأولية

قال المتحدث باسم الحكومة المركزية في أديس أبابا ليجيسي تولو: إن الجيش لن يدخل إلى حدود الإقليم في الوقت الحالي، وإنما سيُبقي على تواجد عسكري في بعض المناطق التي استعاد السيطرة عليها مؤخراً، لنكون الآن أمام واقع جديد كلياً، استطاع فيه آبي أحمد فرض شروطه على قوات تيغراي ومن خلفها واشنطن التي كانت تحاول بشكل مكشوف دفع الأمور في إثيوبيا إلى حالة صدام أهلي واسع تكون أولى نتائجه تقسيم إثيوبيا، وإن كان من المبكر استبعاد هذا الاحتمال، إلا أنه يمكننا القول: إن التطورات الأخيرة تعطي موشراً جدياً على احتمال تجاوز الأزمة، إذا ما ذهبت البلاد إلى حوار سياسي جدي.

ما جرى يعكس بشكل واضح توازن القوى العالمي، فمخططات واشنطن لتفجير القرن الإفريقي تلقى مقاومة كبيرة لا من دول المنطقة فحسب، بل من قوى دولية، مثل: روسيا والصين التي تدفع الأمور في اتجاهات أخرى.

الصورة عالمياً

• أشار الرئيس الروسي إلى أن روسيا أكدت بوضوح أنها لا تقبل استمرار امتداد الناتو باتجاه الشرق، موكداً أن رد الأمريكيين على المبادرة بخصوص الضمانات الأمنية إيجابي بشكل عام.

• شهدت المغرب احتجاجات تحت شعار «الشعب يريد إسقاط التطبيع» جرت فيما يزيد عن 30 مدينة مغربية، في الذكرى السنوية الأولى للتطبيع سيئ الصيت للعلاقات بين النظام المغربي وكيان الاحتلال «الإسرائيلي».

• ذكرت صحيفة هآرتس «الإسرائيلية»، أن الكتائب النظامية والوحدات الخاصة التي استدعاها جيش الاحتلال للضفة، لم تشارك جميعها في عملية مطاردة منفّذي عملية حومش.

• قال نائب الرئيس الإيراني، رئيس منظمة الطاقة الذرية: إن السلطات الإيرانية وفّرت نحو 80 مليون برميل من النفط من خلال توليد الكهرباء في محطة بوشهر للطاقة النووية.

• حذرت المتحدثة باسم الخارجية الروسية، ماريا زاخاروفا، أثناء موجز صحفي من وجود مؤشرات على أن الحكومة الأوكرانية تستعد لشن هجوم عسكري جديد على منطقة دونباس.

• تجاوز سعر العقود الآجلة للغاز في أوروبا 2000 دولار لكل ألف متر مكعب لأول مرة، وذلك حسب بيانات التداول في بورصة لندن «أي سي إي فيوتشرز».

شبح «احتلوا وول ستريت» يلوح

مرّ على حركة «احتلوا وول ستريت» أو «احتلوا» فقط عشرة أعوام في سبتمبر / أيلول الماضي، عندما تجمّع ألف شخص للاحتجاج في حديقة زوكوتي في قطاع منهاتن المالي. انتشرت الحركة على الفور على طول الولايات المتحدة والعالم لتقف ضدّ اللامساواة الاقتصادية والفساد السياسي. حفزت الحركة بشكل واسع الكراهية الطبقية ونزع الشرعية عن الرأسمالية، وفضحها كنظام يراكم فيه عدد قليل من الناس مبلغاً باهظاً من رأس المال على حساب الغالبية العظمى الذين يعيشون في وضع هش. بعد عشرة أعوام، بات الـ 1% الأثرياء الذين أثاروا غضب المشتركين في الحركة، أكثر ثراء. رغم تبدد الحركة وزوالها، هناك الكثير ممّا يمكن تعلمه من اللحظة القصيرة لحركة احتلوا على المسرح الدولي، خاصة مع تعاظم عودة الجماهير للشارع والحاجة لتنظيمها.

■ إيما لي
ترجمة: قاسيون

ما هي حركة احتلوا؟

خرجت حركة احتلوا في أعقاب الركود الكبير في 2007، وفي وسط جرجرة البلاد إلى الحرب على الإرهاب. كان يتم إنفاق مليارات الدولارات لإرسال الجنود الأمريكيين للموت وقتل الأفغان والعراقيين، في الوقت ذاته الذي كانت فيه الطبقة العاملة الأمريكية تعاني لتأمين الطعام وهي تشهد آفاقها الاقتصادية تتبخر.

مثّلت حركة احتلوا، لأول مرة منذ وقت طويل، قطعاً عفوياً للأحداث. بعد خيبة أمل الشباب العميقة بالجمود وبالنخبة السياسية، اكتسبت الطبقة العاملة إحساساً متزايداً بأنّ المسؤولين لا يعبرون عن مصالحهم. مع ترسخ التشرد والفقر والمخاطر في الحياة الواقعية بالنسبة للغالبية في الولايات المتحدة، بدأ السخط في الظهور. بعد السأم من سياسيي النخب ووعودهم الكاذبة بإنقاذ الاقتصاد، أثناء استخدام أموال دافعي الضرائب لإنقاذ البنوك الكبرى في الداخل وشنّ حرب لا نهاية لها في الخارج، وجدت الحركة أول مظهر كبير لها في قلب الرأسمالية: الحي المالي لمنهاتن.

أطلقت مجلّة Adbusters الكندية دعوة للتظاهر استجاب لها ألفا متظاهر في منهاتن الدنيا في 17 أيلول/ سبتمبر 2011، لافتين الانتباه إلى الانقسام المتزايد بين الأغلبية المتعثرة والقلّة الغنية الذين يسيطرون على النظام السياسي. بدأ الحشد بالتخييم في حديقة زوكوتي.

في الوقت الذي لم يحصل فيه الاحتجاج على التغطية المناسبة في الأسبوع الأول، لفت عنف الشرطة تغطية وسائل الإعلام، وبدأت صور المتظاهرين الذين تمّ رشهم بالفلفل والاعتقالات الجماعية بالانتشار في الإنترنت. حشدت الحركة جموعاً كبيرة في الشارع، وبدأ شعار «نحن الـ 99%» يظهر وينتشر. بدأت الجموع بالهتاف: «البنوك تمّ إنقاذها، ونحن تمّ بيعنا». وضع المتظاهرون ورقة دولار على أفواههم كدلالة على كمّ أفواهنا بها. لم يعد هناك من ينكر بأنّ الحركة تعبّر عن الغضب الطبقي. ذلك الخريف، انتشرت الحركة على طول 600 مدينة أمريكية، وفي نهاية المطاف على طول 1500 مدينة حول العالم.

في 5 تشرين الأول/ أكتوبر، وصلت الحركة في مدينة نيويورك إلى مستوى غير مسبوق: سار ما يقدر بـ15 ألف متظاهر وأعضاء نقابيين في الحي المالي، وتمّ اعتقال أكثر من 700 متظاهر. تمّ في الأشهر الستّة الأولى للحركة اعتقال أكثر من 6500 شخص على طول الولايات المتحدة، ألفان منهم في نيويورك وحدها. بدأت السلطات ووزارة الأمن الداخلي بتشديد الرقابة على المتظاهرين.

في الوقت الذي كانت فيه المظاهرات سلمية إلى حدّ كبير جلب عنف الشرطة تجاه المتظاهرين مزيداً من الاهتمام للحركة

في 15 تشرين الأول/ أكتوبر، نظمت جماعة «احتلوا» يوم الغضب الدولي، حيث نظمت مظاهرات في أكثر من 950 مدينة في 82 دولة. في الوقت الذي كانت فيه المظاهرات سلمية إلى حدّ كبير، جلب عنف الشرطة تجاه المتظاهرين مزيداً من الاهتمام للحركة. احتلت أوكلاند عناوين الصحف عندما داهمت الشرطة مخيم الحركة قبل الفجر، ما أدّى إلى إصابة شخصيات مؤثرة مثل المحارب السابق في حرب العراق سكوت أولسن، وإرساله إلى المستشفى.

كان من اللمسات البارزة لحركة احتلوا هي نظامها لذاتية التنظيم. نظّم المحتجون محطات الطعام والراحة، ورعاية الأطفال، وغيرها من الخدمات. كانت إحدى هذه الخدمات هي «مكتبة الشعب» التي ضمت خلال عمر الحركة أكثر من 10 آلاف كتاب تمّ تداولها وتنظيمها من قبل مكتبيين محترفين، وكانت تستخدم نظام إعارة عابر للمكتبات.

آفاق سياسية محدودة

ساعدت المبادئ العامة التي قادت الحركة على توسيع قدرتها على الوصول إلى الناس، لكنّها حدّت في الوقت ذاته من قوتها، وكان هناك حدوداً لقدرات تطور الحركة السياسية. ظهر ما يسمى بمفهوم «السياسة الاستباقية»، حيث ادعى المتظاهرون بأنّ «هدفهم هو خلق مجتمع مستقبلي متساوٍ وديمقراطي من خلال ممارسة الديمقراطيةً المباشرة التي تتخلص من التسلسل الهرمي وتزيل رذائل الديمقراطية التمثيلية الشكلية في ظلّ الرأسمالية». بعبارة أخرى، ستخلق الحركة من خلال نحت العمليات السياسية المتجسدة في رؤية المشاركين فيها، المجتمع المستقبلي الذي تصوّره. كما كتب جون إيربنبيرغ: «لا يعلم كثيرون ما الذي تريده حركة احتلوا وول ستريت، لكن الكثير من الناس يعرفون كيف يعمل».

كان لهذا النوع من السياسة الاستباقية قصور في افتراض أنّ الحركة يمكن أن تخلق بديلاً للرأسمالية من داخل النظام الرأسمالي. تجاهل هذا بالطبع أنّ البدائل التي تحلم بهذا يتم سحقها دائماً من قبل الدولة الرأسمالية – بالقوة والتهميش داخل النظام العالمي. وبهذا المعنى، تجاهلت رؤية حركة احتلوا الحاجة لإسقاط الدولة الرأسمالية والكفاح لمستقبل اشتراكي.

تجمّع خليطٌ من الديمقراطيين والشيوعيين والفوضويين تحت مظلّة واسعة هي حركة احتلوا. وبينما كان لدى الجميع اتجاه مناهض للرأسمالية، كان لدى كلّ فرد أو مجموعة أفكار مختلفة عن الشكل الذي سيكون عليه التغيير. أراد البعض حبس المصرفيين، بينما أراد آخرون خلع الحكومة. أعاق عدم وجود برنامج واضح ومنصّة ثابتة تطوّر الحركة، وجعل من الصعب توسيع نطاقها إلى ما وراء المخيمات لتصل إلى أماكن العمل والأحياء. وفي الوقت الذي أوجدت فيه حركة احتلوا مساحة جديدة للنقاش لنقد الرأسمالية، أخفقت في تنظيم الطبقة العاملة والمضطهدين ليقفوا خلف برامج ملموسة لمواجهة الأزمة الرأسمالية.

كان العائق والحدّ الآخر هو الافتقار إلى التوجه النشط لتعبئة قطاعات من الطبقة العاملة التي، بقوتها وقدرتها وأساليبها– الإضراب والاعتصام والإغلاق– كانت لتصبح حليفاً قوياً يشكل تهديداً وتحدياً حقيقياً ضدّ الدولة الرأسمالية.

في شوارع أمريكا مهدداً بالعودة

بحلول منتصف نوفمبر/ تشرين الثاني، بدأت شرطة نيويورك في تطهير حديقة زوكوتي. ورغم أنّ المتظاهرين استمروا باحتلال المتنزه في الأشهر والسنوات التالية، إلا أنّ برد الشتاء بدأ، ولم تتمكن الحركة على الإطلاق من استعادة زخمها الأصلي. نظراً لافتقارها إلى مطالب واضحة وآلية لتوجيه استياء المشاركين، تلاشت الحركة، والأشخاص الذين تسببت الحركة في خروجهم للاحتجاج إمّا أوجدوا منظمات مجتمعية، أو شغلوا مناصب في منظمات غير حكومية، أو عادوا إلى حياتهم الطبيعية. انضمّ البعض منهم لمنظمات اشتراكية وهم اليوم منخرطون سياسياً ومنظمون كما ينبغي.

الرأسماليون أصبحوا أكثر ثراءً

بعد مرور عشرة أعوام على حركة احتلوا، باتت لدينا أسباب أخرى للكفاح.

تضاعف عدد المليارديرية في العقد الماضي. وفقاً للتحليل الذي أجرته مؤسسة «لأجل عدالة ضريبية» ومؤسسة دراسة السياسات، فبينما انخفضت ثروة المليارديرية الكلية بنسبة 6% «–98 مليار دولار» ما بين 2000 و2010 كنتيجة للركود الكبير، عادت وارتفعت بنسبة 160% «2,57 ترليون دولار» ما بين 2010 وآذار/ مارس 2021. وبحلول نيسان/ إبريل تضاعفت ثروة المليارديرية الأمريكيين لتصبح ثروتهم ما يقرب من ضعف ثروة جميع من يصنفون في النصف السفلي من الأمريكيين: 4,56 ترليون دولار مقابل 2,62 ترليون دولار.

الكثير من البنوك اليوم هي أكبر ممّا كانت عليه قبل الأزمة المالية. يملك بنك جي.بي. مورغان تشيس 3,4 ترليونات دولار كأصول، مقارنة بـ 1,5 ترليون دولار في 2007. يملك بنك أمريكا حوالي 2,8 ترليون دولار كأصول، مقارنة بـ 1,7 ترليون دولار في 2007. تقارب أصول ويلس فارغو اليوم ترليوني دولار، أي أكثر من ضعف ما كان لديهم قبل الأزمة المالية.

تضاعفت أرباح الشركات تقريباً منذ مستويات ما قبل الركود. كان هناك أيضاً دمج للشركات عبر العديد من مجالات العمل، ما أدى إلى زيادة الأرباح لعدد أقل من الرأسماليين الأثرياء. انتعشت أرباح قطاع الخدمات اللوجستية، وعلى رأسه العملاق أمازون. نظراً لأنّ هذه الشركات التهمت الشركات الصغيرة ووسعت أسواقها، فقد أصبحت أرباب عمل رئيسيين للطبقة العاملة. في الآونة الأخيرة، أصبحوا أيضاً بؤراً للجهود النقابية البارزة ولإذكاء الصراع الطبقي، مثل حملة النقابات في مستودع أمازون في بيسمير ألاباما، وإضراب هانتس بوينت في برونكس، وإضراب عمّال نابيسكو، وإضراب عمّال فولفو، وإضراب عمّال جون ديرز. وكالعادة، ردّت الشركات بالقمع وأساليب التخويف غير القانونية ضدّ النقابات.

الفجوة في الدخل في الولايات المتحدة هي الأعلى من بين جميع دول مجموعة السبع. كما أنّ الفجوة بين البيض والسود مستمرة بدورها. وتجدر الإشارة إلى أنّ فجوة الثروة بين العائلات ذات الدخل المرتفع والأسر ذات الدخل المتوسط والمنخفض أكبر من فجوة الدخل، وهي تتعمق بسرعة. العائلات الأكثر ثراء هي الوحيدة التي حققت مكاسب في الثروة في السنوات منذ بداية الركود الكبير في 2007.

عادت الحركات السياسية والاجتماعية للتشكّل في أعقاب الركود وزوال حركة احتلوا. أدّى ذلك إلى تحوّل واسع لدى كثير من الحركات للتوجّه ناحية المكاسب الانتخابية على حساب بناء حركة جماهيرية. يمكن أخذ حركة ديمقراطيي اشتراكيي أمريكا DSA كمثال، اتخذت القرار في نهاية 2014 بوضع انتخاب بيرني ساندرز على سلّم أولوياتها. بعد انتخاب دونالد ترامب في 2016، انضمّ الآلاف إلى حركة DSA، لكن عوضاً عن التوجّه ناحية انتقاد الفساد السياسي الذي نددت به حركة احتلوا من قبل، باتت حركة ديمقراطيي اشتراكيي أمريكا مندمجة بشكل متزايد في السياسة البرجوازية. وعلى الرغم من أنّ عدم المساواة الطبقية باتت أكثر وضوحاً ممّا كانت عليه قبل حركة احتلوا، فقد تمّ تحويل قدر كبير من الغضب الطبقي الفعال إلى الانتخابات، ما عنى تبدد روح الحركة الجماهيرية.

> **لعبت حركة احتلوا– بنجاحها وفشلها– دون أدنى شك دوراً هائلاً في تحول الإيديولوجيا الشعبية ناحية اليسار في عصر إحباط النيوليبرالية**

حركة جماهيرية متجذرة في المبادئ والإستراتيجية

لعبت حركة احتلوا– بنجاحها وفشلها– دون أدنى شك دوراً هائلاً في تحول الإيديولوجيا الشعبية ناحية اليسار في عصر إحباط النيوليبرالية. ربّما قامت بوصل النقاط بين الشركات والقوة السياسية، لتجمع أطيافاً واسعة من الطبقة العاملة ضمن حوار محدود ولكن حقيقي، حول الطبقة والطبيعة غير الديمقراطية للسياسة البرجوازية، ما أثار الغضب الطبقي تجاه الرأسماليين. لقد تمكنت حركة احتلوا من تسييس أعداد ضخمة من الأفراد غير المسيّسين في السابق، ووضعت العلل التي تسببت بها الرأسمالية أمام أعين الناس.

إننا مدينون كثيراً لحركة احتلوا، ولا يجب أن نسمح لخيبة الأمل التي حدثت في السنوات العشر الماضية أن توصلنا إلى استنتاجات فاترة تحاول إقناعنا بأنّ ما نطلبه ليس واقعياً. كمثال: في حين أنّ فرض الضرائب على الأثرياء هو مطلب تقدمي نسبياً في نظام بلوتوقراطي مترسخ بعمق، فتبني هذا الشعار من قبل الساعين إلى التغيير لا يفعل شيئاً سوى محاولة العودة إلى حقبة أوباما، إلى القضية المحددة التي كانت حركة احتلوا تحتشد ضدها، أي إلى إدامة النظام الرأسمالي. الضرائب على الأغنياء لتمويل المدارس العامة، وإنشاء رعاية صحة عامة مجانية، وبناء وسائل نقل عامة واسعة النطاق، وأكثر من ذلك، هي مطالبات غير كافية رغم تقدميتها، فالمطلوب حركة جذرية.

يؤكد الواقع البحتي المادي ما نعرفه بالفعل: الرأسمالية غير قادرة على حلّ المشكلات الإنسانية– بل وتفاقمها أيضاً– الأكثر إلحاحاً. ليس النظام السياسي الذي يدعم الرأسمالية مكاناً غير محتمل لقلب الديناميكيات وخلق نظام آخر. كما كتب توماس هاسي في مقابلة مع مؤلف كتاب رأس المال في القرن الحادي والعشرين توماس بيكيتي: «... من الصعب، ويكاد يكون من المستحيل، تخيّل أنّ العلاج هو الضرائب والمزيد من الضرائب على الأثرياء، بينما يبقون هم أنفسهم يحتلون الصدارة ولديهم أكثر من الجميع... لا نريد فقط فرض ضرائب على الأثرياء، بل نريد مصادرة ثروتهم».

نحن اليوم ضمن فرصة توجيه الطاقة والجهود إلى حركة جماهيريّة جديدة متجذرة في الاستقلال الطبقي والتنظيم الذاتي والمطالب الثورية. كما أضحت لنا حركة احتلوا، فأيّة حركة دون مبادئ وإستراتيجية واضحة لا بدّ أن تتلاشى أو تنجذب إلى الحظيرة الرأسمالية. لا تقدم الأحزاب الرأسمالية لنا أيّة حلول للمشاكل المزمنة التي استثمروا أموالهم من أجل إدامتها.

علمتنا حركة احتلوا أننا أقوياء بأعدادنا الكبيرة. لا يجب أن ننسى أننا بوصفنا العجلات التي تحافظ على تشغيل النظام، لدينا القدرة على إيقاف تشغيله. كما كتب ديفيد هارفي في عام 2011: «... نحن الشعب، ليس لدينا خيار سوى النضال من أجل الحق الجماعي في تقرير كيفية إعادة بناء هذا النظام، وعلى أيّة صورة.

مشكلاتنا معروفة، والعدو يقف أمامنا. لنأخذ مشكلة المناخ بأعاصيرها وحرائقها ودمارها كمثال: لا يمكن للدولة الرأسمالية أن يتمّ إصلاحها لتعطينا ما نريد، ولهذا يجب خلعها. كان بالإمكان تجنّب الفيضانات التي شهدناها في الشوارع وفي مترو الأنفاق في نيويورك، لو تمّ إنشاء بنية تحتية قادرة على إعادة توجيه المياه. تمّ طرح هذا الأمر في عام 2019 في احتجاجات FTP، والتي طالبت بتخصيص أموال للبنية التحتية للمدينة بدلاً من وضع 500 شرطي جديد في محطات مترو الأنفاق ذات البنية الآيلة للانهيار. لكنّ الدولة الرأسمالية بدلاً من الاستجابة، قامت مع أعوانها بضربنا في شوارعنا. لم تتسبب الرأسمالية بهذه الفيضانات التي تركت الناس عالقين في مترو الأنفاق وموتى في الأقبية وحسب، بل ضمنت بشدّة احتمالية حدوث ذلك قبل سنوات من حدوثه بالفعل.

لن نصل إلى هناك من خلال العمل مع الجمهوريين أو الديمقراطيين الذين يوافقون على إنشاء خطوط أنابيب نفط عبر أراضي السكان الأصليين، أو من خلال التعاون مع البرجوازية التي توافق على الصفقات التجارية التي تضرّ بالبيئة وبالبشر. نحن، بصفتنا طبقة عاملة مفقرة، نكسب فقط من خلال تنظيمنا كقوة ثورية. قوة عازمة بشكل كامل وبلا هوادة على إنهاء الرأسمالية وتأسيس الاشتراكية. العالم ملك لنا لنفوز به.

■ بتصرّف عن: Bring Back the Spirit of Occupy

الخاتمة التعيسة: نهاية العقل وتفريغ الإنسان

عرفت مرحلة ما بعد الحداثة بكونها مرحلة التراجع عن العقلانية والتنوير بشكل خاص، ومن ضمنها الفكر العلمي. حيث شهد العالم ردة رجعية وانتعاشاً للأفكار التي جاءت النقلات الثورية البورجوازية «المبكرة» والاشتراكية على السواء لكي تتجاوزها. فعادت بقوة العنصرية والشوفينية والنزعات الانفصالية والتطرّف على كل المستويات والتباعد بين الشعوب والغرق في الشهوانية وتزايد ظواهر الفكر السحري والأسطوري وتراجع مساحة الفكر العلمي. ولكن مع دخول الأزمة العامة للرأسمالية مرحلة متقدمة نحن أمام مرحلة جديدة تصبغ الوعي بسماتها، هي بالتحديد مرحلة نهاية العقل وليس فقط العقلانية. وسنجد مقدمات ذلك المبكرة في تيارات الفكر العلمي السائد.

■ د. محمد المعوش

عود على بدء

تم القول مراراً وفي مواد سابقة بأن الشكل التاريخي الحالي لقانون تدمير قوى الإنتاج «وليس فقط كبحها»، من قبل الرأسمالية، يتمظهر بجانب أساس منه، إضافة إلى تدمير الطبيعة، عبر تدمير العقل الإنساني. ولكن لهذا التدمير أشكال متعددة. ولا بأس من تفكيك حركة ذلك التدمير وتلمّس قانونها الخاص أيضاً الذي لا يحكم فقط حركة الفكر والشخصية، بل يُثبت بشكل واضح على أن تطور العقل الإنساني في مختلف جوانبه لا يسير عشوائياً، بل تحكمه مسارات ضرورية. ونقصد هنا ترابط الوعي كما هو في حالته اليومية مع الحالة التي يأخذ فيها الشكل النظري المتبلور في مجال العلوم، وبالتحديد في مجال نظريات العلم كما تعبر عن نفسها في الاتجاهات المعرفية والمنهجيات، أي في مسائل معرفة الواقع وإنتاج المعرفة وكيفية حصول ذلك.

بين العلم واليومي

للوعي أشكال مختلفة، منها العلمي والفني والفلسفي واليومي... وفي العلمي تتبلور بشكل واضح هوية الفكر في علاقته مع الواقع. فالعلم مطالب ليس فقط بالممارسة، بل بالصياغة الواعية لأدوات ممارسته. ونقصد تحديداً صياغة موقفه من الواقع الذي يدرسه، وتعريف موضوع دراساته، وتحديد الكيفية والأدوات التي عبرها سيدرس موضوعه، ولكن والأهم هو تقرير ما إذا كان يمكن معرفة هذا الموضوع أم لا. إذاً المنهجية العلمية هي تأريض النظرة الفلسفية عن العالم. ولهذا فالعلم يعبّر أكثر من غيره من أشكال الوعي عن النظرة الفلسفية. ولهذا، يشكل العلم قاعدة مبكرة لاتجاهات الوعي وكيفية تطورها كون هذا الشكل من الوعي مطالب دائماً بالتصريح عن هويته الفلسفية. ولهذا فهو يقدم دلائل تاريخية مبكرة على تطور أشكال الوعي الأخرى. ولهذا فإن النظريات المعرفية العلمية التي طبعت العلم طوال القرون الماضية تحمل في طياتها النهاية المنطقية للوعي في إطار علاقته بالواقع. ولأن الفكر اليومي يتأخر عن الفكر العلمي، فما ظهر في إطار المنهجيات والنظريات المعرفية طوال القرون الماضية يجد طريقه اليوم عبر الفكر اليومي. أي وعي مئات الملايين من البشر الذي يتلبّس ملامح اتجاهات فلسفية سبق وأن عبر عنها الفكر العلمي سابقاً.

اتجاهات معرفية ومنهجية

حملت نظريات المعرفة «إبستمولوجيا» في العلم اتجاهات مختلفة. فالنظرية المعرفية هي التي تعبّر عن كيفية معرفة الواقع. والنظرية المعرفية تفرض بدورها المنهجية التي يمكن عبرها قراءة الواقع ومعطياته. وعبر تاريخ العلم هناك نظريات معرفية مختلفة. كانت كلها محكومة في نهاية المطاف بالموقف من العالم. ولذلك فهي تعبر بالنهاية عن موقف سياسي ما أيضاً. هنالك النظرية الشكوكية والبنائية والإحصائية الحسابية والتجريبية والذرائعية والنسبية والموضوعية والمنطقية وغيرها... وكل واحدة من نظريات المعرفة هذه لها موقفها الخاص من إنتاج المعرفة وموضوع المعرفة وكيفية حصول إنتاج المعرفة. وكونها كلها تعبر عن منطلقات مختلفة تجاه الواقع، بعضها يقف موقف المحايد، والبعض الآخر موقف غير المبالي، أما الأخرى فتقف موقف القابل بكل شيء، وهكذا... ولكن في واحدة منها يحصل تفريغ التفكير من فعالية الإنسان ومن العقل، ألا وهي التجريبية الخالصة، أو التجريبية المتطرفة.

التجريبية المتطرفة

التجريبية بشكل عام هي اتجاه من نظريات المعرفة يقول بالاعتماد المباشر على المعطيات الحسية. وتقلل من أهمية التنظير والتراكم المعرفي. ولهذا فهي ترتبط بشكل وثيق بالاتجاه الحسابي الإحصائي الذي يحول المعرفة إلى عملية حسابية رقمية خالصة. ولهذا فهذا الإتجاه هو في جوهره كمّي. إنه كما يعبر عنه بعض الباحثين في المنهجيات والمعرفة: «كلما كان أكثر كلما كان أحسن». فالمعرفة بالنسبة لهذا الاتجاه هي في الكمية. تجارب أكثر «بالمعنى الكمي لا النوعي» يعني معرفة أكثر، مع إسقاط مسألة الاستدلال والتجريد والتعميم. هذه التيارات تحاول أن تكون دقيقة إلى أبعد الحدود في تحديد عاشر رقم بعد الفاصلة بعيداً عن طبيعة السؤال المطروح «الإشكالية النظرية» ومدى صحته، كما يقول فيغوتسكي. ولهذا فإن هذا الإتجاه يلغي فاعلية العقل العارف. ويغرق ويعتمد بالكامل على المعطى وما يمكن أن تنطق به الوقائع. ولكن الوقائع لا تنطق من تلقاء ذاتها. ولهذا فإن النهاية المنطقية لهذا الإتجاه هو المذهب الحسّي «sensualist». هذا المذهب يعتمد بشكل كامل على مضمون الإحساسات والوقائع المباشرة «الشكل، العدد، اللون، الحجم، التزامن المكاني والزماني...». واعتبر المذهب الحسي مقارنة بباقي اتجاهات المعرفة ملغياً للعقل بشكل واضح. فالاتجاهات المنطقية والمثالية والشكوكية والنسبية مثلاً وعلى الرغم من التشوه الذي تظهره ولكنها تبقي مكاناً للعقل. بينما يقوم الاتجاه التجريبي- الحسي بتفريغ الفكر من العقل والإنسان العارف.

أن يتحول العقل الإنساني إلى عقل تجريبي مفرّغ من الفعالية غارق في الحسية يعني أن ينتفي كعقل وينتفي حامله العارف

في عقل المرحلة

إن مراجعة عامة للدراسات النقدية حول نظريات المعرفة في العلم في العقود الماضية يظهر هناك شبه إجماع على انتعاش كبير وواسع للتجريبية وما تحمله معها من انتقائية وتوفيقية واعتماد على العمليات الإحصائية الحسابية. هذا هو واقع العلم اليوم، تطغى فيه التجريبة. ولكن إذا ما وسّعنا دائرة النظر نحو الوعي بشكل عام، الوعي في تمظهره اليومي لدى الغالبية، فإنه يُظهر ميلاً عاماً نحو التجريبية الحسية الصافية. فالحياة «ونقصد هنا المعاني والأهداف الإنسانية والسعادة» في المجتمع الرأسمالي تُظهر كل ما ذكرناه من خصائص حول التركيز على الكمية وعلى الشكليات وعلى المحاسباتية الرقمية الصافية، وعلى تغييب الاستدلال والمساءلة وتغييب أي شكل من أشكال التفكير. ولكن هذه الملامح اليوم تصل إلى منتهاها المنطقي في نفي العقل بالكامل لدى الغالبية. وهذا له دواعمه التاريخية في مسار الأحداث وتطورها، بمعنى غياب الهدف والغاية «في العلم هي الإشكالية التي يجري البحث عنها والفرضية» وغياب الموقف من الواقع «في العلم هي النظرية والموقف الفلسفي والنظرة إلى العالم» وغياب أدوات قراءة الواقع من خلال ضرب مصادر المعلومات نفسها وغياب الفكر المادي التاريخي نفسه وتعميم الوهم والتضليل والتشكيك «في العلم هي أدوات القياس»، والأهم غياب الأفق الإجتماعي المستقبلي الذي يضرب الدافعية لمعرفة الواقع والارتباط الفاعل به.

مزيج قاتل

أن يتحول العقل الإنساني إلى عقل تجريبي، مفرّغ من الفعالية، غارق في الحسية، يعني أن ينتفي كعقل. وينتفي حامله العارف. ولهذا أطلق على التجريبية الحسية اسم «شفط/ تفريغ الذات/ الشخص» «subject vacuumed». وإذا ما جمع هذا الإتجاه مع هجوم العدمية والشكوكية والنسبية من كل صوب، نرى أن الناتج هو انتهاء العقل من الواقع وإلغائه. ونصل بشكل مباشر إلى ما سمّاه ماركس بنزع إنسانية الإنسان. هكذا هي الرأسمالية في ذروة أزمتها العامة، تقضي على كل ما هو حيّ، وتبيده. تقضي على موضوع التناقض عبر قضائها على النقيضين.

مكتبة ماركس التذكارية

تأسست مكتبة ماركس التذكارية ومدرسة العمال عام 1933 بهدف النهوض بالتعليم والمعرفة في جميع جوانب علم الماركسية وتاريخ الاشتراكية وحركة الطبقة العاملة.

■ قاسيون

وتحتوي هذه المكتبة اليوم على مجموعة فريدة من أرشيف النقابات العمالية وحركات السلم والحرب الأهلية الإسبانية. وعشرات الآلاف من الكتب الاشتراكية والكتب المنوعة «أكثر من 60 ألف كتاب». بالإضافة إلى إطلاق المكتبة لبرنامج تعليمي عبر الإنترنت لتدريس الاقتصاد السياسي الماركسي والفن الاشتراكي.

وكان البناء الواقع في كليركينويل غرين مدرسة خيرية لأطفال ويلز الفقراء منذ عام 1738 «أطفال الحرفيين في كليركينويل». وانتقلت المدرسة إلى مبنى جديد في عام 1772. بعد ذلك تم تقسيم المبنى إلى ورش عمل منفصلة أصبحت إحداها موطناً لجمعية لندن الوطنية من عام 1872 حتى عام 1892. في بداية القرن أصبح البناء مقراً لمطبعة القرن العشرين التي توسعت منذ عام 1909 لتوحد أجزاء البناء مرة أخرى. وقد تأسست المطبعة على يد الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي كمطبعة لمجلة العدالة وكانت أول مطبعة اشتراكية في كليركينويل.

كان ويليام موريس من أوائل المتبرعين لمطبعة القرن العشرين. وخلال فترة وجود مطبعة القرن العشرين في كليركينويل جرين، طبعت العديد من الإصدارات الإنجليزية المبكرة لأعمال ماركس وإنجلز. وبقيت مطبعة القرن العشرين في المبنى حتى عام 1922.

وعندما نفي لينين في لندن وعمل في المبنى من نيسان 1902 إلى أيار 1903. في مكتب هاري كويلش مدير المطبعة القرن العشرين. حرر من هناك جريدة الشرارة «الإيسكر» التي كانت تهرب إلى روسيا. وهو البناء المعروف باسم منزل كارل ماركس.

وتعمل هذه مكتبة ماركس التذكارية والمدرسة العمالية في لندن من أجل هدف وحيد وحصريّ وهو النهوض بالتعليم والتعلم الخيري والمعرفة من خلال توفير ونشر وصيانة الكتب والدوريات والمخطوطات والمنشورات والمواد الإلكترونية والوسائط الأخرى المتعلقة بجميع جوانب علم الماركسية وتاريخ الاشتراكية وحركات النقابات العمالية والطبقة العاملة. من منشورات المكتبة، كتاب يوثق الحركة الشعبية التي حدثت في بريطانيا تحت شعار «ارفعوا أيديكم عن روسيا السوفييتية» سنوات 1918–1919. وكتاب نشر عام 2021 كمدخل إلى المادية التاريخية.

أخبار ثقافية

قاموس طبي صيني عربي

أعلن معهد طريق الحرير الجديد لدراسات طب وأدوية قومية هوي بمقاطعة تشينغهاي، عن إصدار أول نسخة صينية عربية ثنائية اللغة من «قاموس المصطلحات الأساسية في الطب الصيني التقليدي». وقد حرر وترجم القاموس الأستاذ لي جين لي، نائب عميد معهد طريق الحرير والأستاذ بمعهد اللغات الأجنبية بجامعة تشينغهاي للقوميات، ويهدف القاموس إلى سد الفجوة المتمثلة في عدم وجود ترجمة عربية للمصطلحات الأساسية للطب الصيني. يحتوي القاموس ثمانية فصول و6000 مصطلح في الطب الصيني وعلم الأمراض وأسماء الأدوية الصينية والوصفات الطبية، والوخز بالإبر.

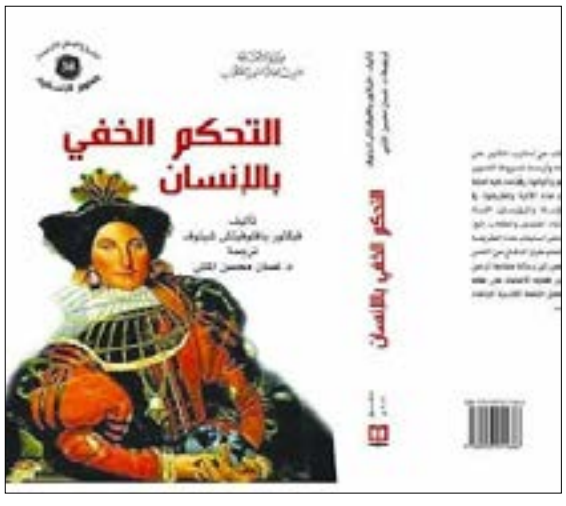

التحكم الخفي بالإنسان

أصدرت الهيئة العامة السورية للكتاب ضمن المشروع الوطني للترجمة كتاب «التحكم الخفي بالإنسان» من تأليف فيكتور بافلوفيتش شينوف، وترجمة: د. غسان محسن المتني. يتحدث هذا الكتاب عن أساليب التأثير على الناس، وشروط التسيير الخفي وعملية التحكم وآلياتها، وقُدّمت فيه أمثلة كثيرة على استخدام هذه الآلية وتطبيقها، في العلاقات بين الرؤساء والمرؤوسين، النساء والرجال، الأبناء والآباء، المعلمين والطلاب. ويساعد الكتاب أيضاً على استيعاب هذه الطريقة في التحكم بالناس، وتعلم طرق الدفاع عن النفس ضد المتحكّمين. ويقع الكتاب في 950 صفحة من القطع الكبير.

كانوا وكنا

توجد وعود بالقضاء على أزمة الغاز في سورية منذ عام 1983. ويقابلها كاريكاتير ساخر لنشرة نيسان مصوراً الناس يطاردون أسطوانات الغاز في الشوارع بطريقة بوليسية! نقلاً عن نشرة نيسان، العدد العاشر، تموز 1983.

للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجو الإتصال على الأرقام التالية:

المحافظة	الاسم	الهاتف
درعا	خالد الشرع	0968844820
السويداء	وائل منذر	0935662555

دمشق وريفها	محمد عادل اللحام	0944484795
حلب	جمال عبدو	0933796639
اللاذقية	صلاح طراف	0988386581

طرطوس	صلاح معنا	0999725141
حماة	أنور أبوحامضة	0933763888
دير الزور	زهير المشعان	0932801133

الحسكة	حمدالله ابراهيم	0999212404
الرقة	محمد فياض	0945817112

«تم إغلاق تحرير هذا العدد يوم الأحد 2021/12/26» «قاسيون» أصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18
قاسيون ناطقة باسم حزب الإرادة الشعبية بقرار المؤتمر التاسع الاستثنائي في 2011/12/03

الشعوب العربية وجمهورية السوفييتات

استقبلت البلدان العربية أخبار ثورة أكتوبر الاشتراكية ونشوء جمهورية السوفييتات بحماس كبير، ولعبت الثورة الاشتراكية والجمهورية السوفييتية الناشئة في دفع الحركات الوطنية لشعوب الشرق إلى الأمام.

■ قاسيون

فتحت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى أول شرخ ضخم في نظام الإمبريالية العالمي. ونتيجة لثورة أكتوبر، تكونت جمهورية السوفييتات التي أصبحت منذ اليوم الأول من ظهورها سنداً وشعلة لكل شعوب المستعمرات في آسيا وإفريقيا والبلدان العربية.

وحاول المستعمرون والمستبدون منع وصول أخبار ثورة أكتوبر، ولكنها تسربت إلى سورية والعراق عن طريق خط الجبهة القفقاسية حيث كان يتجابه الجيشان التركي والروسي حتى خانقين قرب السليمانية في شمال العراق. وكان يوجد الكثير من العرب في الجيش التركي. وفي جنوب العراق تسربت هذه الأفكار من الهند وإيران عن طريق الهنود الذين يشكلون أكثرية الجيش البريطاني. «تاريخ الأقطار العربية المعاصر، ص 22–23».

في عداد البحارة الفرنسيين الذين كانوا في البحر الأسود والذين انتفض قسم كبير منهم لدعم السلطة السوفييتية ورفعوا العلم الأحمر فوق الأسطول الفرنسي، كان يوجد العديد من الجزائريين، ومنهم الحاجي عمر من وهران الذي حمل إلى الجزائر أول خبر عن الثورة «العربي بوهالي، ثورة أكتوبر الاشتراكية والحركة الوطنية في الجزائر، موسكو 1957 ص15».

لقد كان تأثير ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى قوياً على سورية لدرجة أن الملك فيصل قد صرح رسمياً في حديث له مع الصحافة الفرنسية «يوماً بعد يوم يزداد عدد أنصار البلشفية في البلاد». مجموعة مقالات عن علاقات الصداقة السوفييتية العربية موسكو 1961 ص 8.

وترى حكومة لينين وأصدقاؤه والثورة العظمى التي قاموا بها من أجل تحرير الشرق من نير الطغاة الأوروبيين بأن العرب قوى عظمى وأن الثورة قادرة على منحهم السعادة والرفاه، فالسعادة والهدوء في العالم بأسره متعلقان بتحالف العرب والبلاشفة. عاش لينين وأصدقاؤه والسلطة السوفييتية. هذا ما كتبه إنسان مجهول الاسم من لجنة توحيد العرب في سورية. والفقرة مأخوذة من كتاب مجموعة مقالات بعنوان «أكتوبر العظيم وشعوب الشرق، ص 37».

وكان لمرسوم السلام، ونداء لينين إلى المسلمين، وفضح الاتفاقيات الاستعمارية السرية مثل سايكس بيكو، تأثير كبير على صعيد تعاظم الحركة الوطنية في البلدان العربية.

وتبادل إبراهيم هنانو الرسائل مع لينين من أجل تفجير نار الثورات ضد المستعمرين. وبعد أن أعلن هنانو الثورة أرسل بيانه المشهور إلى قناصل الدول الأجنبية جاء فيه: «نحن السوريين نموت ونتبلشف ونجعل البلاد رماداً ولا نخضع لحكم الظالمين».

بعض الصحف في ذلك الوقت أطلقت تهمة البلشفية على ثورة الشيخ صالح العلي والثورة السورية الكبرى مثل جريدة الدفاع السورية

تبادل سعد زغلول أحد أبرز قادة ثورة 1919 المصرية الرسائل مع لينين حول تفجير الثورات ضد الاستعمار. بل كان تأثير ثورة أكتوبر على مصر كبيراً لدرجة أن الفلاحين المصريين شكلوا هيئات ثورية قروية عام 1919 أطلقوا عليها اسم السوفييتات. وكانت الصحافة المصرية تنشر أخبار ثورة البلاشفة على صفحات مجلاتها وجرائدها المشهورة رغم محاولة الإنكليز منع تسرب أخبار الثورة عن طريق الصحافة الأوروبية. وقد جمعت ثورة 1919 في مصر بين المطالب الوطنية ومطالب العمال والفلاحين.

وقدم حاكم كركوك البريطاني الميجر سون تقريراً حافلاً عام 1919 يقول فيه: إن مبادئ البلشفية تصبح معروفة للأسف عن طريق جرائد كركوك. وألقى الفرنسيون على البلاشفة مسؤولية نهوض الحركة الوطنية في الجزائر. وطالب الفلاحون السوريون واللبنانيون معاملتهم مثل روسيا السوفييتية. وعندما فرض البريطانيون نظام الانتداب على العراق، نظم معروف الرصافي قصيدة يقول فيها: علم ودستور ومجلس وأمة، كل عن المعنى الصحيح محرفُ، للإنكليز مطامع ببلادكم، لن تنتهي إلا أن تتبلشفوا. «تاريخ الأقطار العربية المعاصر ص 30–31».

كانت ثورة أكتوبر تلهم الملايين في مصر وسورية والعراق وبقية البلدان العربية. وكتب الصحفي اللبناني سليم نجار في العشرينات: أن الثورة الروسية قد عززت بين العرب فكرة الاستقلال. وقال أحد معاوني عبد الكريم قائد ثورة الريف: لقد تحررت روسيا من الظالمين ونحن نسير على خطاها. وكانت حركة الإضرابات حركة واسعة في مصر والجزائر وتونس بين عامي 1919–1921. حتى أن بعض الصحف في ذلك الوقت، أطلقت تهمة البلشفية على ثورة الشيخ صالح العلي والثورة السورية الكبرى مثل جريدة الدفاع السورية وزحلة الفتاة. وذكر سلامة عبيد في كتابه عن الثورة السورية الكبرى أن أحد أسبابها السياسية الخارجية هي تأثير الحركات البلشفية الثورية في بعض الأوساط.

بشكل عام تميزت سنوات 1918–1927 في العالم العربي باشتداد المقاومة الشعبية: ثورة 1919 في مصر والمقاومة ضد نظام الحماية حتى 1922. وفي سورية اشتعلت عشرات الثورات مثل ثورة الساحل وثورة الشمال وثورة حوران. وفي العراق انتفاضة النجف ضد الإنكليز عام 1918 والانتفاضة الكردية في السليمانية عام 1919 التي كان قائدها محمود الحفيد يتبادل الرسائل مع لينين. الثورة العراقية الشاملة عام 1920، الثورات في البحرين وعدن وعمان سنوات 1918–1920، والاضطرابات في السودان 1921، وإعلان الجمهورية والثورة في الريف المغربي 1921–1926. «تاريخ الأقطار العربية المعاصر ص 30–31».